جامعة الدكتور يحي فارس – المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

أوضاع المجتمع الإسباني من خلال كتاب رحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد الغساني الأندلسي 1690-1691 م

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث
تخصص تاريخ الدولة العثمانية

من إعداد الطالبتين:
- رانية تشبلاو
- فاطمة الزهراء عشير

إشراف الأستاذة:
نواصر عبد الرحمان

السنة الجامعية: 2019/2018

كلمة شكر

إلاهي لا يطيب الليل إلا بشكرك .ولا يطيب النهار إلابطاعتك.

ولاتطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة...

ونصح الأمة...إلى النبي الرحمة والنور عليه

"محمد عليه الصلاة والسلام".

إلى الذين حملوا قدس رسالة في الحياة.وإلى الذين مهدوا لنا طريق العلم

والمعرفة إلى جميع"أساتذتنا الكرام."

إلى كل من ساهم في إرشادنا ولو بكلمة بسيطة كل شكر والإحترام و

التقدير.

الشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "عبد الرحمان نواصر"

كما نتوجه إلى لجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا البحث.

إهداء

نشكر لله العلي القدير الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي كان نجاحنا بيديه وأهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

إلى من خلد لله ذكرها في القرآن يتلى إلى يوم الدين، وجعل الجنة تحت قدميها ،حملتني وهنا على وهن إلى **"والدتي"** حفظها الله.

إلى طيب القلب الذي علمني بمثاليته وتواضع صفاته إلى "والدي العزيز" أطال لله في عمره.

إلى التي من كدت وجدت من أجل نجاحي وإسعادي، إلى من علمتني كيف أعيش لأحيا وأحيا لأعيش إلى **"جدتي"** أطال لله في عمرها.

إلى خالتي أطال لله بعمرها

إلى حنونة القلب التي غمرتني بحنانها **"عمتي"**

إلى شموع البيت المنيرة **"إخوتي"** الأعزاء.

إلى أغلى و أعز الناس إلى قلبي **"غـــالي"**

إلى إخوتي **"عزيزة' جنات' زهية' مروة' نهاد'"**

إلى اللذين جمعني القدر بهم إلى الذين قاسموني مقاعد الدراسة في الجامعة

إلى كل من نسيهم القلم ولم ينساهم القلب.

الطالبة: فاطمة الزهراء عشير

إهداء

أحمد الله عز وجل على منه و عونه لإتمام هذا البحث. إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى، إلى الإنسان الذي إمتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام

مترجمة في تقديسه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة،

"**أبي**" الغالي على قلبي أطال الله في عمره؛

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني حق ر عّاية و كانت سندي في الشدائد، و كانت دعواها لي بالتوفيق، تتبعتني خطوة خطوة في عملي،

إلى من إرتحت كلما تذكرت إبتسامتها في وجهي نبع الحنان "**أمي**" أعز ملاك على القلب و العي ن جزاها الله عني خير الجزاء في الدارين؛

إليهما أهدي هذا العمل المتواضع ليك أُدخل على قلبهما شيئا من السعادة

إلى و **أخواتي** الذين تقاسمو ا معي عبء الحياة

"**رباب، سلمى، وهديل**" ؛

إلى من ساندتني وكانت نعم الأخت والصديقة رفيقتي في المذكرة

"**فاطمة الزهراء**"

إلى الأخوات التي لم تلدهن أمي إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء إلى من معهم سعدت؛ وبرفقهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت **صديقاتي**

"**ياسمين' خديجة' رشيدة**"

و إلى كل من يؤمن بأن بذور نجاح التغيير هي في ذواتنا و في أنفسنا قبل أن تكون في أشياء أخرى...

قال الله تعالى : " **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**...."

الآية 11 من سورة الرعد

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

الطالبة: رانية تشلاو

مقدمة:

تعتبر الرحلات المغربية من أمتع وأنفع ما دوِّن في عالم الرحلات على الإطلاق، فهي بمثابة بيانات عمرانية وحضارية تحوي إفادات متنوعة حول المسالك والممالك والعادات والأعراف والخبرات الإنسانية بشكل عام. لكن ثمة نوع من الرحلات ارتبط في تاريخ المغرب بمهمات رسمية دبلوماسية ذات طابع علمي أو سياسي أو ثقافي.. وقد اشتهر هذا النوع باسم الرحلات السفارية التي تعتبر رحلات تؤرخ بمعنى من المعاني للحظة ''اكتشاف'' المغاربة لحضارة الغرب . وقد ارتأينا في هذا البحث أن نعرف برجل قام برحلة سفارية إلى إسبانيا من أجل التوسط لدى حكامها لإفتكاك أسرى مغاربة محتجزين لدى السلطات الإسبانية، يتعلق الأمر بأبي عبد الله حمو الغساني، صاحب ''رحلة الوزير في افتكاك الأسير..''.

قد توجه إلى سفارة إسبانيا، أواخر سنة (1101هـ / 1690م)، "للتفاوض حول افتداء الأسرى المسلمين المعتقلين هناك، ولمحاولة استرجاع الكتب العربية التي بقيت في المساجد الأندلسية القديمة. ولما رجع إلى المغرب كتب "رحلة الوزير في افتكاك الأسير."

تعتبر ''رحلة الوزير في افتكاك الأسير'' رحلة ثمينة جدا عن إسبانيا في القرن السابع عشر، سواء عن سكان المدن أو سكان البوادي، من أعلى الطبقات الاجتماعية إلى أبسطها، وهي كذلك تأريخ لجانب من جوانب العلاقات الدبلوماسية والخارجية على عهد السلطان المولى إسماعيل.

دواعي اختيار البحث:

وكان اختيارنا للموضوع مبنيا على عدة أهداف يمكن إجمالها فيما يلي:

-الكشف عن القيمة الجغرافية لرحلة الغساني.

-الوقوف عند مشاهداته و رصد ماقاله طوال رحلاته للمدن التي زارها.

-إلى جانب هذا كان وراء إختيارنا للموضوع قنعات و ميول شخصية نتيجة إعجابنا بهذا الرحالة الذي غادر دياره وجازف بروحه ليسير في أطراف الأرض و أكنافها لإسترجاع الأسرى، ومنها ما هو موضوعي المتمثل في أهمية الرحلة تاريخيا وأوضاع المجتمع الإسباني.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع بأنها من أهم الرحلات المغربية التي أضافت رصيدا كبيرا للتاريخ المغربي والتي شكلت الرحلة بدورها ثروة معرفية ، و مادة إجتماعية و حضارية وإقتصادية وثقافية ودينية.

الإشكالية:

تتمحور إشكالية الدراسة حول رحلة الوزير الغساني و إلى أي مدى ساهمت رحلته في الكشف عن أحوال وأوضاع المجتمع الإسباني في القرن 17م؟ وما مدى القيمة العلمية التي تحملها الرحلة؟.

ولمناقشة هذه الإشكالية وجب علينا الإجابة عن بعض التساؤلات الفرعية:

-ما مسار الرحلة؟ وماهي دوافعها؟.

-فيما تمثلت الأوضاع الإجتماعية ولإقتصادية والثقافية والدينية قي إسبانيا خلال القرن 17م؟.

- إبراز ما مدى مساهمة الرحلة في إثراء الجغرافية الإسبانية؟.

-هل تكللت الرحلة بالنجاح والهدف المرجو منها؟ وما هي خلفياتها؟

تقديم المصادر:

وقد إعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع التي كانت عونا لي في إنجاز هذا البحث منها:

كتاب: (**رحلة الوزير في افتكاك الأسير**): للرحالة محمد عبد الوهاب الغساني الأندلسي والذي هو موضوع هذه الدراسة المتواضعة، بحيث سجل فيه ملاحظاته و مشاهداته كما نقل الصور الإجتماعية و الدينية و الثقافية للبلدان التي زارها ، فقد تقيدنا به في معظم البحث و اقتبسنا منه الكثير كونه مادة بحثيا فأفادنا في المطلب الثاني من المبحث الأول وقد إعتمدنا عليه في جميع المباحث.

إضافة إلى كتاب: (**إسبانيا تاريخها المسلمون المسيحيون واليهود**): لأمريكو كاسترو وهو من أهم المصادر الذي اعتمدنا عليه في البحث فقد اعتمدنا عليه في المبحث الثاني.

كما اعتمدنا على كتاب: (إسبانيا شعبها وأرضها): لدوروثي لودر الذي ساعدنا في التعرف على المجتمع الإسباني بشكل جلي.

كما اعتمدنا على أهم مصدر أجنبي: (**La Sociedad Espanola en el siglo XVII**): لـ Ortiz Antonio Dominiuez إستفدنا منه للتعرف على طبقات المجتمع الإسباني في القرن السابع عشر.

المنهج المتبع في الدراسة:

وبالنسبة للمناهج المتبعة في هذا البحث فقد استعملنا المنهج التاريخي في تتبع مسار رحلته من خلال ذكر تواريخ المدن التي زارها، وكذا المنهج التحليل ، والمنهج الوصفي كون الرحالة يستقي المعلومات و الحقائق من المشاهدة الحية و التصوير المباشر،مما يجعل قرائتها غنية و مسلية محتاجة للوصف.

خطة البحث:

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطة متكونة من ثلاث مباحث، فقد تناولنا في المبحث الأول تمهيد تحدثنا فيه عن العلاقات المغربية الإسبانية والأوضاع التي كانت تعيشها المغرب والتي على إثرها بعث الملك المغربي بالسفير لإسبانيا، ثم خصصنا المطالب الثلاث للرحالة محمد عبد الوهاب الغساني، فتطرقنا للحديث في المطلب الأول عن نسبه ونشأته، أما المطلب الثاني فتطرقنا فيه إلى الرحلة ودوافعها، وبالنسبة للمطلب الثالث فلقد شمل مظاهر الحياة في إسبانيا من خلال نظرة الرحالة.

أما المبحث الثاني فقلد تمحور حول أوضاع المجتمع الإسباني الإجتماعية والإقتصادية من خلال الرحلة، وارتكز هو الآخر على مطلبين، كتمهيد للرحلة إرتأينا التحدث عن جغرافية إسبانيا، تضمن المطلب الأول الجانب الإجتماعي للرحلة، و في المطلب الثاني تناولنا الجانب الإقتصادي للرحلة,أما المبحث الأخير فتطرقنا فيه إلى الجانب الثقافي والديني للرحلة.

و ختمنا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

الصعوبات:

لا ننفي وجود بعض صعوبات التي تواجه أي باحث في كتابة تاريخ إسبانيا خاصة خلال القرن 17م، أولها الوقوف على المصادر والمراجع نجد أغلبها باللغة الأجنبية،أيضا عدم توفر المادة العلمية خاصة المختصة، إلا أن الملاحظة التي يمكن أن ننوؤ هي أن معظم تلك الدراسات سواء المحلية أو الغربية لم تعطي لهذا الموضوع حقه الكامل، بحيث كل ما توفر لدينا كان عبارة عن معلومات غير كافية مما صعب علينا الوصول إلى الكثير من الحقائق من رحلة الغساني.

المبحث الأول:

الرحالة محمد عبد الوهاب الغساني الأندلسي

تمهيد.

بطاقة قراءة كتاب.

المطلب الأول: نسبه ونشأته.

المطلب الثاني: رحلته ودوافعها.

المطلب الثالث: مظاهر الحياة في إسبانيا من خلال نظرة الغساني.

المبحث الأول: الرحالة محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي

تمهيد:

تعود جذور العلاقات المغربية–الإسبانية إلى عمق تاريخي موغل في القدم، ترجع بداياته الأولى إلى القرن الهجري الأول عندما دخل العرب المسلمين إلى الجنوب الإسباني بقيادة طارق بن زياد[1] ليتحكموا بعدها في الجزيرة الإيبيرية مدة ثمانية قرون. بعدها شهدت هذه العلاقات حالات من المد والجزر كما شهدت حروبا متعددة. وفي القرن الخامس عشر الميلادي فقد المغرب مدينة سبته إحدى القلاع المحصنة باحتلالها من قبل البرتغال ثم احتلالها من قبل إسبانيا أيضا، تزامن هذا الإحتلال مع خروج العرب المسلمين من غرناطة–الأندلس. وبعدما احتلت إسبانية سبته ومليلية واصلت توسعها رغم المقاومة الشديدة من طرف المغاربة. وطوال هذا التاريخ عملت السياسة الإستعمارية الإسبانية على تكريس الجانب العنصري في تعاملها مع المغرب.

تقع مدينة سبتة في أقصى شمال المغرب على البحر الأبيض المتوسط ، وهي قائمة على شبه جزيرة مستطيله تتجه مرتفعة من الشرق ومنحدرة إلى الغرب وتنتهي في البحر بمرتفع صخري يسمى جبل الميناء وهي على مقربة من مدينة تطوان ، وتقع قبالة شبه جزيرة جبل طارق. أما مدينة مليلية فتقع شمال شرق المغرب ،على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، أما حدودها المحاذي للبحر الأبيض المتوسط شكل قوس نصف دائري وتشكل سبتة ومليلية الحدود البرية الوحيدة بين إفريقيا وأوروبا[2].

شهد النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي أحداثا هامة في المغرب وإسبانيا، إذ عرف المغرب بعض الإضطرابات السياسية ؛بسبب صراع أبناء المنصور على الحكم بعد وفاته. ضف إلى ذلك تدهور أوضاع البلاد الإقتصادية والإجتماعية، وما ترتب عن ذلك من تراجع سلطة السعديين ،وظهور قوى سياسة جديدة كانت المعول الذي ساهم في عودة تجزئة المغرب وتفكك وحدته ،بالإضافة إلى ذلك فإن هذا القرن قد تميز بتجدد الغزو الإسباني للمغرب ، وبالتالي اتسمت العلاقة بين المغرب واسبانيا بطابعين : أولهما العلاقات العدائية بين الجانبين والتي تجلت إلى جانب احتلال الثغور المغربية في القرصنة والجهاد البحري ، ثانيهما يتعلق بالجوانب السلمية المتمثلة في العلاقات السياسية ونشاط البعثات الدينية.

---

[1]–طارق بن زياد: هو طارق بن زياد الطنجي الفاتح الحقيقي للأندلس غزاها بجيوش المغرب من المضيق المنسوب إليه وبقي بها إلى أن ذهب إلى الشام مع موسى بن نصير بطلب من أمير المؤمنين الوليد بن عبد الله سنة 95، **للمزيد انظر:** محمد بن عبد الوهاب الغساني، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، تقديم: ألفرد البستاني، (د.ط)، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، المغرب، 1940، ص 16.

[2]–محمود صالح الكرواي، "أزمة سبتة ومليلية بين المغرب وإسبانيا الدوافع والأهداف"،المجلة السياسية والدولية، العدد2، 2011م، ص143.

-الغزو الإسباني للمغرب:

أ -احتلال العرائش: إن رغبة الإسبان في الحصول على العرائش كانت مند فترة حكم أحمد المنصور، وبوفاته تجددت أطماع الإسبان، الذين حاولوا احتلالها بعد أن تراجع المأمون عن رأيه بالتنازل عن العرائش في مقابل الحصول على مساعدات عسكرية،حيث وصلت أساطيلهم في جمادى الأولى 1011هـ /أوت 1608 م، لكنها فشلت بفضل مقاومة المغاربة 1 وفي 28 جانفي 1609 م، بعد انهزام أبي فارس وعبد الله قرب نهر أبي الرقراق ،خرج مع أبيه إلى العرائش ثم قرر المأمون الهروب إلى اسبانيا مع أمه وأبنائه الصغار وبعض القواد في 4 مارس1609 م، فمكث فيها، وطلب من فليب الثالث أن يساعده ضد أخيه فقبل شريطة تسليمه مدينة العرائش، فوجهوا حملة في جويلية 1608م وفشلت بسبب عدم ملاءمة الرياح ، ثم نزل المأمون ، بسبتة ومنها إلى القصر الكبير وذلك للوفاء بعهده وتسليم العرائش، واستصدر فتوى من بعض علماء فاس الخائفين منه بجواز تسليم أرض إسلامية في مقابل افتداء الخليفة لأبنائه الرهائن .فارتج المغرب لهذا العمل الشنيع، وأعلن الناس الجهاد ،و لما خاف الفضيحة كتب إلى علماء فاس وغيرها للإفتاء ، فأجاب من أجاب من العلماء بجواز ذلك، خوفا على نفسه، وهناك من العلماء من فروا كالإمام أبي العباس أحمد المقري وأبي العباس الفاسي واستعان المأمون بجيشه في إخلاء المدينة من سكانها بقيادة قائده الجربي ودخلها الإسبان في4 رمضان 1019 هـ 20 /نوفمبر 1610 ، وسلموا لمحمد الشيخ في مقابل ذلك 200 ألف دوقة و 6000 بندقية .9 وأطلقوا على العرائش اسم القديس سان أنطونيو . 10 وفي 27 فيفري 1611 م طرحت على مجلس الدولة فكرة تحصين العرائش وإسكانها بعد ذلك ،فقاموا بتحصين قاعدة العرائش فبنوا الأسوار وحفروا الخنادق حولها ،ووضعوا المدافع خلف الحصن والأبراج[1].

ب-احتلال المعمورة: بعد احتلال العرائش ونتيجة المضايقات التي تعرض لها الإسبان من طرف المغاربة كما أنّ المعمورة أصبحت مقرا للقراصنة بعد خروج البرتغاليين والاتفاق بين زيدان سلطان المغرب وهولندا ،بدأت اسبانيا تفكر في احتلالها ، وعملت على إغلاق مدخل نهر سبو، حيث توجه أسطول في 18 أوت 1611 نحو المعمورة ، مهمته إغراق ثماني سفن محملة بالحجارة عند مصب النهر إلا أنها فشلت، خاصة بعد الإتفاق بين زيدان وهولندا، وهي أول اتفاقية في 24 ديسمبر 1610بتوجيه القائد أحمد بن عبد الله إلى لاهاي، وقد نصت بنودها على التعاون الملاحي

[1]- زينب جعني، العلاقات المغربية الإسبانية خلال النصف الأول من القرن 11ه/17م (1011-1069ه) (1603-1659م)، ماجستير في تاريخ المغرب الحديث، الجزائر منشورة، ص76.

والعسكري ، ثم تجدد مشروع إسبانيا سنة 1614م لاحتلال المعمورة.حيث اقترحوا مقايضتها بالبريجة مع زيدان، وفي نفس الوقت بدأ زيدان ببناء أسطوله باستغلال الكفاءة الهولندية لتطهير المعمورة، وتحصينها تحسبا من هجوم اسباني محتمل. انعقد مجلس الدولة وجاء فيه قبول احتلال المعمورة حيث انطلقت الحملة من ميناء قادس في 1 أوت 1614 م بأسطول مكون من 99 سفينة عليها 7500 جندي ووصلت في 4 أوت واستولت على الحصن في 6 أوت1614م.

ج-سلا: كانت سلا ضمن مشاريع اسبانيا التوسعية في المغرب لأنها تشكل تهديدا خطيرا للمصالح الأوربية خاصة إسبانيا ومع النقلة النوعية التي حققها الأسطول الجهادي بمرسى سلا الجديد، اقترح خوان لدوبكو رودريغو Juan ludovico وهو يهودي من أصل تطواني على الملك الإسباني الدوافع والأهداف والوسائل من أجل احتلال سلا، وفي سنة(Rodrigo) ، واقتراح سنة 1625 1619 (Jorje Mascarenhas)كان هناك اقتراح من قبل موريسكي لحاكم آسفي جورج ماسكاريناس وهو علج اسباني إلا أن هذه الإقتراحات لم تجد صدى من قبل حاكم سيدونيا، ذلك أن سلا لا تتوفر (Safer) من القائد سافر على المواصفات التي يمكن أن تجعل منها قاعدة حصينة وناجعة ،وتجدد مشروع احتلالها سنة1638 حيث اقترح الملك الإسباني ذلك نظرا للهجومات التي تقوم بها على السفن وازدياد عدد الأسرى الإسبان.

د-أصيلا : لقد كانت أصيلا موضوع اقتراح سنة 1620 من قبل محمد بن الشيخ المأمون الذي كان يتطلع للحصول على نصيبه من ثروة والده من طنجة، و على مساندة ملك اسبانيا حيث يقول: سيرا على نهج والدنا المغفور له في الحب الذي كان يكنه لجلالة الملك فليب أريد أن أقدم لجلالتكم أزيلا... د أبرم تسليم أصيلا مع حاكم العرائش رودريغو دوسانتيسبان Rodrigo) (de santistevan. كان ميناء فضالة على الساحل الأطلسي من أنشط الموانئ التجارية ، إذ تصدّر منه الحبوب الزراعية إلى أوربا، وكان للهولنديين مكانة مرموقة في هذا الميناء، حتى أقلق ذلك الحكومة الإسبانية، فكتب حاكم المعمورة في 23 ماي 1632 على أنه من الضروري الإستلاء عليها، لأنّ الهولنديين يريدون إقامة حصن فيها ، وقد انعقد المجلس في 4 جويلية مبيّنا عوائق الإستلاء عليها[1].

[1]-محمد الهلالي، العلاقات المغربية الاسبانية جدلية التعاون والتوتر،أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية الحقوق فاس، 2010- 2011م، ص191.

المبحث الأول: الرحالة محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي

إن الباحث في تاريخ العلاقات المغربية الاسبانية يجد أنها علاقات متشابكة ومعقدة تاريخيا ويتجلى فيها بوضوح الموقف الاستعماري لأسبانيا في تعاملها مع المغرب، وذلك منذ الحقب التاريخية الاستعمارية الأولى ، كما بدت الأطماع الاسبانية في استغلال المغرب سياسيا واقتصاديا واضحة منذ الفترة الفترات الأولى للاستقلال . وعليه فتاريخ العلاقات بين الدوليتين له ثقله في الوعي الشعبي ، يعيش الماضي في الحاضر ، والسلف في الخلف لذلك تعد العلاقات المغربية الإسبانية من أعقد العلاقات الدولية[1].

ومن هنا نتطرق إلى الرحلة السفارية إلى إسبانيا التي كانت في عهد المولى إسماعيل والذي بدوره أحرز عدة انتصارات عند توليه الحكم رأى المولى إسماعيل أن الدولة العلوية التي أصبحت مسؤولة عن تسيير البلاد المغربية لا يجوز لها أن تتساهل في أمر ضروري لحماية كيانها وحفظ وجودها وتحرير أرضها لذلك رأى أن تحرير الشواطئ المغربية من أيدي الأجانب داخلا في المخطط العام الذي تريد الدولة تحقيقه وتنفيذه.

إن المولى إسماعيل تيقن أن حكمه للمغرب لا يستقر له قرار ما دامت بعض الشواطئ المغربية تحت قبضة الأجانب الذين كانوا قد استولوا عليها وحاولوا بذلك أن يتغلبوا على البلاد وأن يستغلوا هذه الشواطئ لمصالحهم سواء فيما يتعلق بازدهار اقتصادهم وتأمين أسطولهم أو لاستغلالها لصيد الأسماك ولتهديد المواطنين ولقطع المواصلات بين المغرب والخارج حتى يصير المغرب منعزلا عن الجهاز الدولي فيتحكموا فيه متى شاؤوا.

وإذا كان المسلمون في أواخر الدولة السعدية قد شعروا بهذا الخطر فكانوا يعملون ما أمكنهم لتحرير الشواطئ المغربية فإن المولى إسماعيل رأى أن هذا الأمر لم يعد هينا ولا يمكن أن يبقى في أيدي جماعات لا تستند إلى قوة أو عصبية أو نظام إذ لا بد من أن يدخل أمر التحرير في تصميم الدولة العام وأن تتحمل الدولة جميع مسؤولياتها في ذلك وأن تعد له المال والرجال لتحقق النصر وتيسر لنفسها الغلبة على أعدائها. وبالفعل فإن المولى إسماعيل استطاع أن يحرر مدينة طنجة من يد الانجليز سنة 1095 هـ. بقيادة قائده أبي الحسن علي بن عبد الله الريفي كما حرر مدينة العرائش من يد الاسبانيين سنة 1101 هـ. بقيادة القائد أبي العباس أحمد بن حدو البطوني. ولا شك أن هذه المواقف الحاسمة في تاريخنا جعلت للمغرب كيانا أمام أعدائه وأصبحوا ينظرون إليه نظرة الخائفين

[1]-محمود صالح الكرواي، "أزمة سبتة ومليلية"، المرجع السابق، ص144.

الهالعين إذ ليس هناك شيء يرفع من قيمة الدول أمام الرأي العالمي مثل الانتصارات المتوالية التي تدخل الرعب في نفوس الجاحدين والمعاندين.

حقيقة أن هذا الرعب الذي أحدثه المولى إسماعيل جعل كثيرا من الدول الأجنبية تود مسالمته وتتمنى مصالحته فسعى الفرنسيون في ربط العلاقات الودية بينهم وبين المغرب كما سعى الإسبانيون أيضا في التقرب إلى المغرب وتمنوا أن تحل المشاكل الموجودة بينهم وبيننا عن طريق المفاوضات.
وهنا وجد المولى إسماعيل الفرصة سانحة لأن يبعث إلى إسبانيا السفير الغساني ولأن الغساني كان على دراية بالكتب، اختاره السلطان للقيام بهذه المهمة لأنه خبيرا بشؤون البلاد عالما بأحوالها مطلعا على مشاكلها ليطالب الاسبانيين بأمرين :

الأمر الأول : تحرير الأسارى المسلمين الذين هم بقبضتهم.

الأمر الثاني : المطالبة بالكتب الإسلامية الموجودة بالخزانة الزيدانية[1] ومن المعلوم أن أغلب هاته الكتب استولى عليها الاسبانيون أيام السعديين فأوقفوها على مكتبة الاسكوريال.

[1]- الخزانة الزيدانية: هي مخطوطات تعود لمكتبة السلطان المغربي زيدان الناصر بن أحمد، استولى عليها قراصنة أسبان في عرض مياه المحيط الأطلسي سنة1612 م وهي موجودة اليوم بخزانة الإسكوريال بإسبانيا .المخطوطات ذات أهمية علمية بالغة وهي من أشهر الخزائن العلمية في تاريخ المغرب، حيث تتكون من كتب مكتبة زيدان ووالده السلطان أحمد المنصور الذهبي ومما حازه من مكتبتي أخويه الشيخ المأمون وأبي فارس بعد وفاتهما، وتضم الخزانة الزيدانية دراسات في مختلف المجالات وبلغات متعددة منها التركية والفارسية واللاتينية.كما ارتبط اسم (الإسكوريال) بمكتبة المخطوطات والكتب العربية الإسلامية بمدريد، والتي تقع بقصر الإسكوريال الذي اكتمل بناؤه في عهد الملك الاسباني فيليب الثاني سنة 1584م. وتعود أصول القصة بعد ثورة ابن أبي محلي سنة 1612م اضطر السلطان زيدان السعدي إلى مغادرة مراكش في اتجاه ميناء آسفي ليسافر منها إلى أغادير، واستأجر سفينة : (Notre dame de la garde) تعود للقنصل الفرنسي جان فيليب دي كاستيلو لتحمل نفائسه وخزانة كتبه التي قدرت بأربعة آلاف مخطوط في مختلف فنون العلم والأدب. و كان ينوي تقديمها لحاكم مرسيليا (دوك دوكيس) مقابل ما اتفق مع زيدان عليه" .إلا أن الظروف قادت السفينة في اتجاه مدينة سلا، فتعرضت لها في الطريق أربع سفن إسبانية و استولت عليها بكل سهولة فاعتقد ملاحوها خطأ بوجود ذهب في الصناديق، فلما فتحوها ولم يجدوا بها إلا الكتب فكروا بتقديمها هدية للملكهم وذلك سنة 1612م فتوجهوا بها إلى مدينة بلنسية ، و من ثم أمر الملك فيليب الثالث الإسباني، بنقل هذه المكتبة الضخمة إلى دير الإسكوريال . **للمزيد انظر**: أحمد شوقي بنين، "خزانة مراكشية بالأسكوريال"، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد9، الرباط،1982،ص ص 127-142.

-بطاقة قراءة كتاب:

الدراسة الظاهرية:

1-اسم المؤلف: محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي.

2-عنوان الكتاب: رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691م).

3-عدد الصفحات: 181ص.

4-حجم الكتاب: الكتاب ذو حجم صغير 3.57 ميجا بايت تحصلنا عليه عن طريق Pdf.

5- دار ومكان النشر: دار السويدي للنشر والتوزيع.

6-الوصف الخارجي: يحتوي هذا الكتاب على واجهة ذات لون أزرق وبها إطار ذو لون أصفر بداخله عنوان الكتاب واسم المؤلف والمحرر ودار النشر.

7-محتوى الكتاب: يعتبر هذا الكتاب لصاحبه محمد بن عبد الوهاب الغساني والذي حققه نوري الجراح اعتمد المحقق في ضبط ما دونه الغساني على أقسام:

القسم 1:

-الإستهلال: استهل فيها المحقق عن أهمية أدب الرحلة.

-المقدمة: ذكر لنا فيها أهمية رحلة الغساني لإسبانيا وأبعادها.

القسم 2:

مسار الرحلة: ذكر لنا فيها فترة الإنطلاق 19 أكتوبر 1690م وتطرق لأهم المناطق التي زارها ابتداء من مرسى جبل طارق إلى مدينة مدريد ومن حلال هذه المناطق وصف لنا أوضاع المجتمع الإسباني بالتدقيق والهدف المرجو من هذه الرحلة هي استرجاع الأسرى والمخطوطات ومن خلال وصفه لإسبانيا كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع.

العودة: كانت يوم 20 ماي 1691م الخروج من مدريد والرجوع إلى المغرب وذكر أهم نتائج رحلته إلى إسبانيا.

القسم الثالث:

خصصه لأخبار فتح الأندلس لم ينسى الغساني في كتابته عن أحوال إسبانيا عن أوضاعها قبل سقوط غرناطة حين كانت تحت سيطرة المسلمين.

المبحث الأول: الرحالة محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي

الدراسة الباطنية:

1-التعريف بالكاتب: هو أبو العباس سيدي أحمد ابن الفقيه عبد الوهاب الوزير الغساني النجار الأندلسي، ولد الغساني في أول يوم من رمضان سنة 1063 هـ وتوفي في 2 ربيع الأول سنة 1119 هـ/ 1707م.

2-قيمة الكتاب: تتمتع هذه الرحلة بقيمة تاريخية لما جاء فيها من صور وإنطباعات عن الحياة في إسبانيا في القرن 17م، فهي رحلة قام بها وزير مغربي بعثه السلطان مولاي إسماعيل لإفتداء الأسرى والرجوع بالكتب والمخطوطات العربية غير أن الغساني لم يتغافل على أن يقدم لنا وصف دقيق لإسبانيا.

3-نقد الأفكار والأسلوب: تميز الغساني بقوة الملاحظة والإنتباه التي رافقته طوال رحلته، فالمؤلف في كتابه بتحاشى القصص في عرضه، ولا يثقل وصفه بالمقابل يتحدث بالتفصيل عن تاريخ المجتمع الإسباني، فهو يهتم قبل كل شيئ بوصف الأخلاق والعادات والنظم، فيبدوا لنا هنا كعالم إنتوغرافي وإجتماعي أكثر منه مؤرخا.

وبوجه عام فكتابه لا يخلو منالطرافة ومادته ذات أهمية وهي تمس السكان والمدن والريف والطبقات ولا يوجد في عرضه أثر للتحيز والعنصرية.

4-أهمية الكتاب: تكمن اهمية كتاب رحلة الوزير في افتكاك الاسير للكاتب محمد الغساني الاندلسي بقمتها التاريخية. كماتعتبر رحلته من أهم مصنفات إسلامية عن تاريخ أوروبا في القرن السابع عشر كما يعتبر وصفه للمجتمع الإسباني واحدا من أبرز ما كتبه المسلمون عن أوروبا في العصر الحديثوقد غدا الكتاب مرجعا لكل الرحالة المغاربة الذين كتبوا عن اسبانيا في الفترات اللاحقة.

المطلب الأول: إسمه ونسبه.

الكاتب سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (إمام الأحمدين):

الفقيه العالم الأثير الصوفي الأديب الشهير ذو الفيض النوراني والفتح الرباني أبو العباس سيدي أحمد ابن الفقيه عبد الوهاب الوزير الغساني النجار الأندلسي الفاسي الدار[1]، من أسرة أصلها من الأندلس ولكنها استقرت بمراكش وكان يعمل كاتب ببلاط الشرفاء العلويين بمكناس في عهد مولاي إسماعيل (1672-1828)[2]، كانت له رحمة الله مشاركة ومعرفة بعلوم الحديث والسيرة والتاريخ والأنساب والطريقة الصوفية "أعجوبة الزمان في صفة الإمشاء والترسيل وممن عليه فيها المدار والتعديل" وقد اكتسب الشهرة كخبير بأسماء الكتب (Bibliograph) وخطاط وناثر[3].

نشأته :

ولد الغساني في أول يوم من رمضان سنة 1063 هـ وتوفي في 2 ربيع الأول سنة 1119 هـ /1707م، أخذ تعليمه من عند الشيخ سيدي أحمد ابن عبد الله ولازمه، وكان يؤدب الصبيان في بزاويته ويؤم الناس في الصلاة، وفيهم شيخه المذكور سيدي أحمد اليمني فلهذا كان يدعى بإمام الأحمدين وذلك بما يشهده بصلاحه وأدرك رحمة الله جماعة من الأشياخ وأخذ عنهم وكان منصبا لتحميل الشهادة بسماط شهود فاس، بارع القلم في الوثائق والرسائل والخطب والتأليف[4].

---

[1]-الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، الط1، الج2، دار الثقافة مؤسسة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د.ت)، ص135.

[2]-أغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ،ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم ،مراجعة: ايغور بليايف ،(د.ط)، الج 2،الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1957م، ص732.

[3]- أحمد بن محمد المقري التمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها الخطيب، حققه: إحسان عباس، (د.ط)، المجلد2، دار الصادر، بيروت 1377هـ/ 1967م ، ص331-332.

[4]-أغناطيوس كراتشكوفسكي، المرجع السابق، ص 732.

أهم مؤلفاته :

للغساني تآليف جامعة مفيدة أهمها :حاشية علي الكلاعي، وشرح الهمزية والبردة للبوصري، وجلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي ،ومقصورة طويلة جدا أنشأها في مدح سيدي أحمد بن عبد الله وشرحها في سفرين كبيرين، ولامية من البحر السريع يذكر فيها مشايخ سيدي أحمد المذكور وشرحها أيضا، وتأليف آخر سماه المقياس في محاسن سيدنا أبي العباس، وشرح الحزب الكبير للأبي الحسن الشاذلي، وشرح صلاة مولانا عبد السلام بن مشيش وعوارف منه فيمن شهد له بالجنة، وتقيد بالتعريف بسيدي عبد السلام القادري إستوفى فيه أشياخه ومقروأته وتقيد أيضا بالتعريف بالشيخ المسناوي، وقصيدة فالمدح النبوي تزيد على مائة بيت، وله نظم ورسائل[1].

[1]-محمد الكتاني، سلوة الأنفس، المصدر السابق، ص336-337.

المطلب الثاني : رحلته ودوافعها

1-مسار الرحلة:

الإنطلاق يوم: 19 أكتوبر 1690م

بدأ الوزير الغساني رحلته داعيا إلى مولاه السلطان إسماعيل[1] بن مولاه الشريف في هذه المهمة وهي فكاك الأسرى المسلمين، ثم تحدث جبل الفتح المسمى بجبل طارق وتاريخ فتح الأندلس[2]، وعاد بالذاكرة إلى ماضي الأندلس وفتوحات موسى وطارق[3].

كانت رحلته يوم الأربعاء أواسط محرم سنة 1102 هـ من (أفراك) المطلة على سبتة[4]، وقد وجد هو الوفد المرافق، واجهوا في رحلتهم بعض الصعوبات نتيجة تبدل اتجاه الرياح، ومن ثم كان انطلاقهم من سبتة إلى طريف بعد أن أمضوا ثلاث ليال بمرسى جبل طارق.

وقد هيأ لهم الدوكي (الدوق) مركبا مشحونا بالإقامة والشلظاظ (الجند) وقال الغساني:

«وفيما تهيأت لنا ثلاث مراكب صغر شحنوها بالشلظاظ والمدافع التي تحميها وركبنا فيها وسرنا بحفظ الله ووكالته حتى أرسوا بنا في مدينة طريف، وهذا الحاكم يقيم في مدينة سان لوكار، وهو الذي ينتهي إليه تلك الكوشطة (الساحل) ،وجاء المركب بأمر حاكم قالص لينقلهم إلى هناك»[1].

---

[1]-مولاي السلطان إسماعيل: هو الشريف العلوي السلطان المظفر أبو النصر مولاي إسماعيل بن مولاي الشريف ثالث ملوك السلالة العلوية في المغرب، كان شجاعا بطاشا مستبدا عادلا، هاجم معاقل المسلمين في بلاد المغرب فاسترد من الإسبان المهدية 1681م والعرائش 1989م، **للمزيد انظر**: محمد عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه: احسان عباس ، الط1، مكتبة لبنان، (د.ت)، ص300.

[2]-الأندلس: الإسم العربي لشبه جزيرة إيبيريا ،كان أول ظهوره عند العرب وأصله مشوب بعض الغموض شأنه في ذلك شأن الإسمين القديمين ،إيبيريا عند اليونان وإسبانيا عند الرومان ،**للمزيد انظر** : ج.س.كولان، **الأندلس** ،ترجمة: إبراهيم خورشيد ، الط1، كتب دائرة المعارف الإسلامية، 1970م، ص19.

[3]-محمد عبد الوهاب الغساني الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690م-1691م، تحقيق: نوري الجراح، الط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002م، ص 27 .

[4]-سبتة :تقع مدينة سبتة في أقصى شمال المغرب على البحر الأبيض المتوسط، وهي قائمة على شبه جزيرة مستطيلة مرتفعة من الشرق ومنحدرة إلى الغرب وتنتهي في البحر بمرتفع صخري يسمى جبل الميناء ،**للمزيد انظر**: ج.س.كولان، المرجع السابق، ص18.

وهكذا بدأ الغساني بوصف الرحلة وما يلاقيه من اهتمام متزايد من قبل السلطات الإسبانية ومن حفاوة وتكريم واستبشار من قبل الشعوب ،وكل ذلك من أجل إيجاد احترام متبادل وسلام دائم في المنطقة وإنهاء الصراع في البحر وإخماد الفتن والحروب.

يمضي الغساني إلى أوطيرة ليجد الناس هناك قد زينوا مدينتهم وخرجوا إلى الشوارع وآلات الطرب بيديهم يغرفون عليهم مهلهلين فرحين بالوزير، ولا ينسى الغساني أن يذكرنا بالمسلمين في هذه المدن[2].

رحل الغساني من أطريرة إلى مرشانة وبينهما عشرون ميلا، وأرضها واسعة فسيحة الأرجاء، وليس بهذه البلاد الأندلسية جبالا إلا ماهو عن عين المار تظهر على مرئ العين، وبين أطريرة ومرشانة واد كبير عليه قنطرة كبيرة مبنية أحسن بناء في عهد المسلمين.

وفي مرشانة قوم ينتسبون إلى الأندلس انتسابا معظم سكانها من سلالة المسلمين القدماء، يؤكد الغساني على وجود المورسكيين في المدن التي مر بها الجالية الأندلسية المسلمة التي يتواجد فيها المسلمون الأسرى في مدينة أطريرة ،قال: «ومدينة أطريرة هذه هي مدينة بين الصغر والكبر وجل أهلها من بقايا الأندلس»[3].

ثم يصف الغساني الحياة العمرانية والمعيشية فيها لينتفل إلى مدينة إيشكا وصفها بأنها بلاد متسعة الأرجاء فسيحة، ذات جنات وبساتين وأكثر أشجارها شجر الزيتون ووصف فيها المدينة ووواديها المنحدر من شينيل.

وتابع الغساني حتى وصل إلى قرطبة، وهي مدينة كبيرة حاضرة من حواضر العدو ،وهي دار ملك قديم، وفيها كان سكن ولاة الأندلس قبل دخول عبد الرحمن الأول، حيث سكن الرصافة ثم تحول

---

[1]- محمد الغساني، رحلة الوزير، المصدر السابق ،ص 33 .

[2]-نفسه، ص ص 36-39.

[3]-علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس،الط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ص 247.

إليها سنة 167 هـ ،وتقع على سفح جبا يسمى سير مرينة وهي عالي ضفة الوادي الكبير الذي ينحدر من جبل بياسة وجبل جيان.

وقد أقام الغساني بعد أن طاف بالمدينة و زار المسجد الكبير الأعظم ،هو مسجد كبير جدا في غاية الإتقان وحسن بناءه وبه ألف وثلاماائة وستون سارية وكثرة أبوابه منقوش بالكتابة العربية ، تكلم عن إنتاج الخيل ببلاد قرطبة وأنها أحسن من خيول إسبانيا ،أيضا أهلها أهل حداثة وفلاحة وأرضهم أرض خشنة ذات أحجار وبلاد أندلسية كلها قليلة المياه سواء في أوديتها ولم يكن لأهلها الإعتناء بالسواقي ولإخراجها، وعلى هذا الوادي من القناطر المبنية أحسن بناء. وقال : « كل ذلك من أثار مسلمين الأندلس رحمهم الله».

ومنها إلى مدينة تسمى الكاربي وهي مدينة صغيرة ،بنقربة من الوادي،وبهذا الوادي دواليب ونواعير تصعد الماء من الوادي إلى بساتين تحت المدينة ،وأهلها أهل فلاحة وحراثة.

ومنها إلى أندوخر حيث توجد فيها جالية إسلامية متنصرة تعرف ببني سراج حيث يقول الغساني : «والغالب أن أهلها من بقايا الأندلس وجلهم من أولاد سراج» ومن أندوخر إلى مدينة تسمى لينارس تبعد 24 ميلا عنها ،وفي مدينة لينارس توجد بعض العوائل الأندلسية ولكنهم قلة، وفيها الرصاص والمعادن التي تنقل إلى كثير من المدن الإسبانية، وفيها كنيسة للراهبات وصف فيها الحياة الخاصة بهم وسمى المكان بالكونبينطوا، ولى نفس القدر من الإنتباه لتفهم أسلوب المعيشة في الأديرة الراهبات التي تعرف إليها بصورة مباشرة[1].

ومنها سافر إلى طري كوان وهي متوسطة بين الصغر والكبر ومنها إلى منشا، وفي الطريق إلى مدريد صادف رجلا من قصرة يقطع الطريق ولا يهاب الملك والحكام، فطلب من الحاكم عفوا حتى يعود إلى

[1]- محمد بن عبد الوهاب الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تقديم: ألفرد البستاني، (د.ط)، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، المغرب، 1940، ص ص 44-54.

عمله وحياته اليومية فلم يأته جواب، ثم وصف الفنادق والديار المعدة لنزول المسافرين وأن هاته المناطق مشهورة بوجود اللصوص لكثرة المسافرين فيها.

من وادي طاخوا وهو وادي به منظر رحب الفناء فسيح الأرجاء عليه من البناءات والقرى وعليه من المزارع مالا يحصى يتم فيه اصطياد الأسماك ، ومنه إلى قرية بنكص وهي قرية بدوية، وبعدها انتقل إلى مدريد وإذا هي مدينة كبيرة جدا مليحة البناء واسعة، وفي مداخل العاصمة استقبله الأسرى من المسلمين وهم فرحين مسرورون معلنون بلفظ الشهادة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

بلغت السفارة مدريد في اليوم17 من ربيع الثاني 1102 هـ من نفس العام 7 جانفي 1691م ،تكلم عن بقائه مع الطاغية وحفاوة الإستقباله، ذكر عن اكتشاف أمريكا وتطرق على ذكر أحوال إسبانيا فقال :« غلب عليهم الترف والحضارة بعد اكتشاف البلاد الهندية فقلما تجد جنس منهم يتاجر ويسافر بقصد التجارة».

تكلم عن أهل الكبيرة وقد أشار إلى أحوال أجواء الشك التي أحاطت بإيمان المورسكيين، أو المسلمين المتنصرين الذين تعامل ديوان التفتيش معهم بصفتهم مسلمين تقنعوا بالمسيحية[1].

أشار أيضا أن أحكام ديوان التفتيش كانت تنطبق على عامة المورسكيين واليهود في حين عومل أمراؤهم وكبرائهم معاملة مختلفة، كما أشار إلى ديوان التفتيش بالإنكسيشيون.

وفي مدريد حظر عيد الشعانين وعيد الفصح وفصل فيهما، وتحدث عن كنيسة الإسكوريال عندهم هو من الأمور التي يعدونها في بلادهم إذ ليس عندهم كنيسة أخرى على شكلها من بناءاتهم أعظم منها وقد قارن الغساني هذا الإسكوريال بمساجد المسلمين في طليطلة[2] وإشبيلية[1] وقرطبة[2].

[1]– محمد بن عبد الوهاب الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تقديم: ألفرد البستاني، مصدر سابق، ص 72.

[2]–طليطلة : بالأندلس، بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلا، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضا. وطليطلة عظيمة القطر كثيرة البشر وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق، **للمزيد انظر**: علي المولا، **الموسوعة العربية الميسرة**، الط1، الج1، المكتبة العصرية، (د.ت)، ص393.

أما فيما يتعلق بقضية الأسرى المطالبة بهم وبالكتب وإن لم يتوفر الكتب يعوضهم بألف أسير، وخلال هذه الفترة التي كان الطاغية يجمع فيها الأسرى بقوافي داره فوصف لنا الغساني ما رأى فيها من مساكن وبيوت وبساتين وذكر ما بمدريد من متنزهات وأشار إلى دار الكبيرة تسمى (الروطيرو)[3].

اشتهارهم بالتزلج على الجليد وهذا الوادي يعتبر مكان للتنزه، كما أشار إلى أسواق مدريد على أنها كبيرة ومنفسحة الأرجاء، عامرة أهل البيع والشراء والتجارة وأهل الحرف والصنائع، رجالا ونساء يبيعون حتى الخبز لأن من عادة أهل مدينة أنهم لا يخبزون الخبز في الدار، ويجعلون في هذه الأسواق أعيادهم كعيد الثيران ويحضر هذه الأعياد الطاغية وحاشيته وعامة الناس.

وبسوق مدريد أيضا ذكر موضع معد للرسائل والبراوات وحدد لها يوم سماه ببريد الجمعة ويتم أخذ تلك البراوات بقدر ربع أوقية، تطرق إلى عادات الميراث.أيضا تحدث عن عادة الصيام وهي 24 يوم مفروضة على بني إسرائيل و6 أيام زائدة كل يوم أحد وهذا الصوم ليس هو بإمساك عن الأكل والشرب ويستمرون في صومهم حتى يمر 28 يوم فتدخل الأعياد[4].

---

[1]-إشبيلية: مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام، وهي مدينة قديمة أزلية، ويقال أن الذي بناها يوليش القيصر وإنه أول من تسمى قيصر، وكان سبب بنيانه لها أنه لما دخل الأندلس ووصل إلى مكانها وأعجبه كرم ساحته وطيب أرضه ، فردم على النهر الأكبر مكانا وأقام فيه المدينة. **للمزيد انظر**: علي المولا: **الموسوعة العربية الميسرة**، المرجع السابق، ص 57.

[2]-قرطبة: قاعدة بالأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، كان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا، وبين المينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات، وبها الجامع المشهور أمره شائع ذكره. **للمزيد انظر**: علي المولا، المرجع نفسه، ص456.

[3]-محمد الغساني، رحلة الوزير، المصدر السابق، ص 85.

[4]-نفسه، ص 89-112.

2-العودة يوم: 20 أكتوبر 1691م

-الخروج من مدريد والرجوع إلى المغرب

في 20 أكتوبر سلك الغساني طريق العودة إلى المغرب، غادر الوفد العاصمة الإسبانية فكان خروجه من مدريد ووصوله إلى قرية وشقة، وفي طليطلة تنقطع الرحلة.

ذكر طليطلة والوادي المار بها يسمى طاخوا، ووصف أسوارها العالية وحيطانها فيصفها أنها باقية من أيام الأندلس وأثرها أثر حضاري ،وقد شاهد النقوش العربية المكتوبة في السقف ومسجدها الجامع من عجائب الدنيا ثم تحدث عما موجود في هذا المسجد من الذخائر والتحف.

ثم يختتم المؤلف بحوادث تاريخية قديمة فيما يتعلق بإجتياز طارق بن زياد البحر وافتتاح المدن الأندلسية ، وما وجده من خزائن ملوك القوط حتى وصوله إلى طليطلة وتنتهي الرحلة بإنتهاء الحوادث التاريخية التي تم بها فتح المسلمين لجزيرة الأندلس[1].

[1]-محمد الغساني، رحلة الوزير، المصدر السابق، ص ص129-135.

المطلب الثالث : مظاهر الحياة في إسبانيا من خلال نظرة الغساني.

لم يغفل الغساني المجتمع الإسباني وشمله بوصف يتميز بنفس الدقة التي أرخ بها لأروبا ولم يترك مجالا من الحياة اليومية ألا وطرقه، وقد كان غيره من الرحالة المسلمين في أروبا مهووسا بتسجيل كل ماهو غريب في هذا البلد.

فقد تطرق لأهم العادات في إسبانيا بشكل دقيق، ذكر الأعياد والحفلات وأيضا في إطار ممارسة الإختلافات، تحتل المرأة مساحة مهمة داخل هذا الوصف وهذا الحضور القوي للمرأة إنما يعكس واقعا ثقافيا مميزا. ولم يكن أسلوب الغساني فقط من زاوية الإنبهار بل أيضا من زاوية انتقاد مجتمع بلاد الكفر .أما في الجانب السياسي عرض الغساني في الصور هذا الحضور في كل الإستقبالات التي خاضها الملك الأسباني للسفارة المغربية، وكان من الممكن أن يغض السفير الطرف عن هذا الحضور البروتوكولي لكنه حرص في كل مرة على التذكير به وبالموقع الذي تحتله زوجة وأم الملك الأسباني، وقد تطرق أيضا لذكر علاقات المصاهرة بين الملوك الأروبيين[1] .

وأشار الغساني في رحلته إلى هذا الموضوع فشرح ذلك على أن البنت هي الوارثة لوالدها وصادف تزويجها بمن له لقب أو أكبر يتولى جمع ميراثها وتصير تلقب بلقب الزوج، وأذا صادف تزويجها بمن ليس له لقب يحصل على كبيرتها، وقد أصيحوا يولون هذا الأمر للفرنسيين إما بالميراث أذا لم يصبح له ولد . وهذه الظاهرة هي التي جعلت الغساني يتنبأ بالوضع الذي عرفته إسبانيا بعد وفاة الملك كارلوس الثاني[2].

وفي الوضع الديني لإسبانيا عرض الغساني لهذا الجانب عندما كان بصدد الحديث عن الرهبنة في صفوف النساء، وحيث كان في لينارس أتيحت له الفرصة لزيارة دير للراهبات، وهي مناسبة سمحت له بالتعمق في معرفة كيفية ولوج الأديرة من قبل النساء والأسباب التي تدفع بهؤلاء النساء إلى ولوج الأديرة، وعندما يسهب في وصف الدير فذلك ليس بطريقة التعميم، ولكنه يلجأ إلى الإستشهاد من خلال حالات فيقول:« كما رأيت في كنبط للمونكاص الراهبات من مدينة إشبيلية صبية في غاية

[1] – عبد الرحيم بنحادة، سفير مغربي بمدريد في نهاية القرن السابع عشر، سلسلة دراسات الثقافة الإسلامية، (د.ط)، منشورات معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وإفريقيا، طوكيو 2005م، ص26

[2] – محمد الغساني، رحلة الوزير، المصدر السابق، ص26.

الحسن والجمال واعتدال القامة وصباحة الوجه لها أربعة عشر عاما أو ما يقرب منها ولباسها غير لباس الراهبات، فسألت عنها وعن سبب مخالفة لباسها جميع الراهبات...» .

إلى جانب ذلك ذكر الغساني أسواق مدريد والتي مر بها مواضع معدة للرسائل البراوات وشرح لنا كيف تتم عملية التبادل، فذكر الغساني أنه في كل يوم من أيام الجمعة ترد رسائل بلد من البلدان وهو كان يرتجي ورود براءة يمضي إلى الحوانيت المعدة لذلك وينظر هل أتاه مني أم لا...[1].

وتطرق الغساني بذكره لوسيلة أخرى في العالم الأوروبي، ويتعلق الأمر بالصحافة وتعتبر معلوماته حولها هي الأصالة بمكان، فالغساني أعطانا معلومات عن دورها في نقل الأخبار من البلاد النائية، ولم يفته التنبيه على أهظ ماقدمته للناس. يقول:« ...ومن أحب الإطلاع على ذلك يشتري منها قرطاسا يسمنونه الكسيطة، فيطلع الإنسان منها على أخبار كثيرة إلا أن فيها من الزيادة والكذب ما تحمل عليه الشهوة النفسانية» ، ومن المؤسسات التي انبهر بها الغساني وتعمق في وصفها المارستانات، فيشير إلى أن مدريد فيها أربعة مارستانة وأشار إلى الدور الذي تلعبه، ويبدوا أن الغساني وإن انبهر بهذه المؤسسة وسيرها، إلا أنه امتنع الإستشفاء بها[2].

وهكذا قد أسهم المثير من الدارسين للعناية بأسلوب الغساني في كتابته لهذه الرحلة المميزة فقد عرف عن الغساني، قوة الملاحظة وانتباه الغربيين بالنسبة لعصره، كما أن سعة أفقه واتسم به من روح التسامح الشديد الغريب بالنسبة لمراكشي من عصره قد سمح له بأن يتجاذب أطراف الحديث بسير مع رجال الدين الذين كانوا يلعبون دورا خطيرا في إسبانيا في ذلك العهد.

والغساني يتحاشى القصص في عرضه، ولا يثقل وصفه على عكس الكثيرين بالإستطرادات المنقولة عن مؤلفين آخرين. بل أن مسجدا مشهورا كمسجد قرطبة لا يظفر لديه إلا بمكانة صغيرة وفي مقابل هذا فهو يتحدث بتفصيل أكثر عن تاريخ إسبانيا الحديثة وعن آخرة هجرة للموريسكيين منها، كما يفصل الكلام بصورة خاصة عن سياسة أوروبا المعاصرة لها، ومن اتجاهه العام يبدوا كعالم إنتوغرافي وإجتماعي اكثر منه مؤرخا .فهو يهتم بهم قبل كل شيء بوصف الأخلاق والعادات والنظم، كما

[1]-المصدر نفسه، ص26.

[2]- عبد الرحيم بنحادة، سفير مغربي بمدريد، المرجع السابق، ص30.

أولى اهتمامات كبيرا لوصف الرقصات الشعبية التي عملت تكريما له، ويقدم لنا تحليلا لشخص الملك ماركوس الثاني آخر سلالة هايسبورغ على العرش الاسباني، معتمدا في ذلك انطباعات الشخصية ويجب الإعتراف بان هذا التحليل لا يخلو من بعض على ما سرده الرحالة الأوروبيين في هذا الصدد، هذا وقد اقتصرت دائرة اتصاله بالطبع على الوسط الأريستوقراطي وبنفس التدقيق يعرض لما كانت تتعرض له المرأة هي تجاوزات داخل الأوساط الدينية ، عندما يعرض لحالة رجل الدين أجبر ابنة أخته على الزواج منه.

وتوقف الغساني كثيرا عند دور المرأة في المجتمع الإسباني، فهي ليست ربة بيت وإنما تملأ الحياة خارج البيت، المرأة التي تبيع الخبز على جنبات الشوارع والتي تسهر على المطاعم التي تعج بها مدينة مدريد وغيرها من مدن إسبانيا .لا يتوقف الغساني عن ممارسة اختلافه وغيرته عندما يتعرض لبعض مظاهر الحياة اليومية في إسبانيا كالحديث عن الطعام والعادات الغذائية المختلفة، ولقد اعتنى الغساني بالترتيب الإجتماعي في إسبانيا، وحاول نحت مفهوم خاص به، هو مفهوم الكبيرة ويقصد بها "الجاه" ويذكر أن كسب الكبيرة في إسبانيا لا يأتي بالمستوى المادي ولكن بواسطتين: الواسطة الاولى: هي التقرب من المخزن أي الدولة أما الواسطة الثانية : هي المشاركة في الحروب ضد المسلمين، وهاتان الطريقتان كان لهما تأثير كبير على الوضع الإقتصادي في إسبانيا .لم يترك الغساني مظهرا من مظاهر الحياة الإجتماعية في البلد المضيف إلا وطوقه ومن بين هذه المظاهر الإهتمام بالموسيقى والرقص. فقد أورد مجموعة اسماء الآلات الموسيقية كالآرية والقيتارة والدفوف والمهاريز. فعزف بها ووصفها وقارن بينهما وبين ماهو معروف بالمغرب ومن ذلك مثلا هذا الوصف المفصل مثلا: وهذه الآرية هي آلة كبيرة من خشب تقرب قدر قامة الإنسان ولها من الوتر نحو 46، وهي حسنة النغم لمن يحسن جسمها ونقرها، وهذه الأجناس من النصارى يستعملونها كثيرا، ويعلمونها لنسائهم وأولادهم، فقلما تجد دار إلا وجميع أهلها يحسنون نقر"الأرية" لم يكن يقصد الغساني ان يتوقف عندما يعتبر غريبا وعجيبا في البلاد التي زارها، ولكن أيضا كان يقصد بعض الوسائل التي كانت وسيلة من وسائل التقدم في اسبانيا حيث ذكر لنا أهم وسيلة لاسبانيا وهي البريد حيث يعتبر الغساني من أوائل السفراء المسلمين الذين اهتموا بهذه الظاهرة منذ أن حط الرحال بإسبانيا[1].

[1]- محمد الغساني، رحلة الوزير، مصدر سابق، ص156-157.

كما أولى الاهتمام بالجانب الاقتصادي، ويوجه الكثير من انتباهه إلى طرق الزراعة وتربية الحيوان، أما فيما يتعلق بعالم الطبيعة فهو يوقف موقف الملاحظ المهتم بنشاط الإنسان فيه، ولا يولي اهتماما خاصا بالمناظر الطبيعة أو جمال الطبيعة نفسها، أو يكلف نفسه في نقل الأوصاف الشاعرية التي صاغها الغير. وبوجه عام فكتابته لا تخلو من الطرافة ومادته ذات أهمية فالعادة وهي تمس السكان والمدن والريف والطبقات العليا والدنيا ولا يوجد في عرضه أي أثر للتحيز أو العصبية ضد الأجانب، بل ينبض بالكثير من العاطفة الطيبة نحو الغير. مما سمح له بتفهم أشياء كثيرة تعد غريبة بالنسبة للمسلمين، وإن ما يمتاز به العرض من حيوية وقوة الملاحظة فهو يقدم لنا لوحة دقيقة للحياة الإسبانية وعلى وجه خاص حياة البلاط في عهد كارلوس الثاني.

المبحث الثاني:

الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لإسبانيا من خلال الرحلة.

المطلب الأول:الأوضاع الإقتصادية.

المطلب الثاني: الأوضاع الإجتماعية.

المبحث الثاني : أوضاع المجتمع الإسباني الاجتماعية والاقتصادية من خلال الرحلة

تمهيد:

جغرافية إسبانيا :

1-إسبانيا أصل التسمية:

كانت شبه الجزيرة الإيبيرية تعرف في الأزمان القديمة بإيبيرية، ولكن الرومان أطلقوا عليها إسم Hispania، ومن هنا جاء اللفظ العربي إشبانية أو إصبانية[1]، وفي لغة القرون الوسطى الرومانسية تحول اللفظ إلى إسبانيا Espana، ومنه اشتقت الكلمة الإنجليزية spain[2].

2-بطاقة قراءة:

الإسم الرسمي: المملكة الإسبانية

العاصمة: مدريد

الموانئ الرئيسية: برشلونة-بيلباو-فالنسيا-قرطاجنة.

المساحة: 19532405 ميل مربع 505992 كم مربع.

الكثافة السكانية: 201 ميل مربع.

الأجناس: خليط من فصائل البحر الأبيض المتوسط (قصار الطول ذو بشرة داكنة) ،وفصائل النوردية (طول قامة ذو بشرة شقراء)[3].

[1]-أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: المسالك والممالك، تحقيق، عبد الرحمن علي حجي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت ،1968م، ص 57-58.

[2]-عبد الواحد ذ نون طه، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، (د.ط)، دار المدار الإسلامي، (د.ت)، ص 65-66.

[3]-محمد عتريس، معجم بلدان العالم،الط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2002م، ص 21.

3-جغرافية المنطقة:

تتميز إسبانيا بعدة خصائص طبيعية تجعلها قريبة على مستويات عدة من شمال إفريقيا، فقديما أطلق عليها الجغرافيون عبارات تدل بالفعل على تنوعها الجهوي فيذكر على أنها شبه قارة للإشارة إلى اختلاف أطوافها البليغ، فهي تساعد على الإنعزال، وبذلك تكون جغرافية إسبانيا أقرب إلى جغرافية إفريقيا منها إلى أوروبا، ولذلك نجد معدل إرتفاع أراضي الإسبانية 660م وهو معدل بلاد جبلية، وهذه الطبيعة كان لها السبب في عزل السكان وحدث من التبادل والتداخل.

إن إسبانيا بلاد جبلية تضم وديانا وأحواض نهرية عظيمة ونهر الإبرو Ebro هو النهر الرئيسي الوحيد الذي يجري بإتجاه شرقي نحو البحر المتوسط، أما الأنهار الكبيرة الأخرى مثل المنهو Minho ودويره Duero وتاجة Tojoووادي Guadiana والوادي الكبير Guadalquivir متجه غربا نحو المحيط الأطلسي وتحتل Mesctaالمرتفع الواسع Tablelandمعظم شبه جزيرة[1].

4-مناخ إسبانيا:

يتميز بقلة الأمطار أقل من 600 ملم سنويا، وهذا ماترتب عنه مشكل الماء وقد حاول الإسبان معالجة هذا المشكل على طريق أداتين:

1-الرعي الإصطناعي وهو موجود منذ عهد الرومان لكن تقنيات الري لم يتم نشرها على الوجه الأكمل.

2-تعويض خصوبة الأرض بإتساع المساحات المزروعة بالخصوص الأراضي البور التي ليس فيها أنهار وما يعاب على هذه الوسيلة لأن إنتاجها متفاوت أي من موسم إلى آخر.

[1]-محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، إفريقيا الشرق، (د.ط)، 1998م، ص ص 23-24.

وكان لضعف الفلاحة بإسبانيا تأثير سلبي ما ترتب عنه وقوع عدة مجاعات وأمراض وغلاء في الأسعار، وقد عرف عن تنظيم الري في إسبانيا في القرن 17م أنه مأخوذ من المسلمين منذ عهد الأندلس[1].

5-تضاريسها:

تأثرت الهضبة الإيبيرية أثناء النمو الجبلي الألبي على جانبيها شمالا بسلاسل البرانس وجنوبا فهبطت أطرافها الشمالية والشرقية والجنوبية والغربية على شكل مثلثين تحولا إلى مستنقعات بتقدم مياه البحر نحوها، لما تأثرت الهضبة بعدة انكسارات تحولت إلى مجاري مائية نهرية رئيسية والجهة الجنوبية الغربية هي أرض الأندلس.

وتوجد بها زراعة الحبوب والقطن والتبغ والأرز وقصب السكر، وتشكل المستنقعات منطقة توسع زراعي حديث حاصة في الجزء الشمالي الشرقي من إسبانيا. وكرد فعل لنمو جبال البرانس وتحوله إلى مستنقعات ردمت برواسب نهر أبرو ورافده وتكونت تربة رسوبية فيضية وفي الجزء الداخلي من الحوض، وهو شبه جاف لأنه يقع في الظل المطر بالنسبة لمرتفعات البرانس يسود مراعي الإستبس، وتربية الأغنام وفي باقي الحوض تسود زراعة الحبوب والعنب والزيتون، أما الأطراف الجنوبية الشرقية مطلة على البحر المتوسط تغطيها تربة ملحية تصلح لزراعة الأرز[2].

كما يمكن القول أن إسبانيا 85% من مساحة شيه الجزيرة الإيبيرية في جنوب غرب أوروبا وتشغل البرتغال باقي شيه الجزيرة، ويعرف عن تاريخ سكانها الأصليين هم السليتون والباسك ،كما تقع في جزئها في إسبانيا التي تقع في شمال شرق إسبانيا وتفصل بينهما جبال البرنيز التي يبلغ 600 ميل (480كم)، ويقع خليج بيسكي في شمالها وهو جزء من المحيط الأطلنطي ،وفي غربها البرتغال،

[1]-المرجع نفسه، ص 24.

[2]-محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية أروبا والحوض البحر المتوسط، جامعة الإسكندرية، (د.ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ب)، (د.ت)، ص ص 112-113.

والأطلنطي في شمالها الغربي ويفصلها عن قارة إفريقيا مضيق جبل طارق في جنوبها الغربي واتساع المضيق أقل من عشرة أميال 16كم[1].

[1]-محمد عتريس، معجم بلدان العالم، المرجع السابق، ص22.

المبحث الثاني : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لإسبانيا من خلال الرحلة

المطلب الأول: الأوضاع الإقتصادية

1-النشاط الحرفي (الصناعة والزراعة):

عرفت الحركة الإقتصادية عموما انهيار بسبب الصدمة التي منيت بها ميادين الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة نتيجة الهيمنة المطلقة للنصارى القدامى عليها فقد عملوا على قطع العلاقات الإقتصادية التي كانت قائمة بين الموريسكيين وشمال إفريقيا.هذه العلاقات التي لم تكن تشمل تبادل المنتوجات فقط بل توطدت أيضا بين الأشخاص المنتجين، وقد ساهمت القرابة العائلية في كثير من الأحيان في ذلك، وقد ساهمت القرابة العائلية في كثير من الأحيان ذلك. كان الموريسكيون قبل عملية الطرد هم الخبراء في الزراعة ولم يتركوا شبرا من الأرض في جبال البشورات إلا وزعوه مما كان له الوقع الحسن على الإقتصاد بصفة عامة وكانت الدولة تعتمد عليهم في ذلك[1].

ولكن بعد وفاة الملك فيليب الثاني في القرن 16م، وتتابع طوال القرن 17م ثلاثة ملوك آخرين من أسرة هابسبرغ هم: فيليب الثالث ابن فيليب الثاني، وفيليب الرابع حفيده، وشارل الثاني ابن حفيده، وقد وقع فيليب الثالث مرسوما يقضي بطرد المغاربة القلائل الذين بقوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة، والذين أرغمهم الإسبان على إعتناق الدين المسيحي. وكان هؤلاء المغاربة يقومون بكل الأعمال الشاقة التي يحتقرونها غالبية الإسبان، كانوا يقومون بأعمال البناء، والخياطة والنسيج، إلى جانب من كانوا أمهر المزارعين، ورغم أنهم كانوا شعبا صبورا فقد ثاروا ضد إرغامهم على الإرتداد عن دينهم، وهدم ثقافتهم القديمة، وحرق كتلهم القديمة وكانت ثوراتهم متعددة، حتى أمر فيليب الثالث عام 1609م بطردهم من البلاد في خلال ثلاث أيام، فغادر البلاد على عجل ما بين نصف مليون و 900 ألف رجل وإمرأة وطفل وجهتهم شواطئ شمال إفريقيا او بلاد أخرى في البحر المتوسط وأذنت السلطات لعدد قليل جدا منهم لا يتجاوز 6 بالمئة من مجموعهم الكلي بالبقاء ليقوموا بأعمال الري والزراعة[2].

---

[1]- محمد قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، المرجع السابق، ص20.

[2]- دوروثي لودر، إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فوردة،(ط.د)، مكتبة النهضة المصرية فرانكلين، القاهرة، 1956م، ص95.

المبحث الثاني : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لإسبانيا من خلال الرحلة

وقد لاقت إسبانيا الأمرين من جراء هؤلاء القوم، إذ لم يكن هناك من بين الإسبانيين من يقوم بالأعمال اليومية المرهقة التي كان يقوم بها المغاربة، فقد كانت أحلام الذهب والمغامرات فيما وراء البحار تشغل أذهان الإسبانيين.

وأخذت الأحوال الإقتصادية تزداد سوءا في إسبانيا خلال القرن 17م، فترى معالم الفقر في كل مكان، وكانت الطبقة المتوسطة في أمس الحاجة إلى ضرورات الحياة، وكان الفقراء يموتون من الجوع، وقد وصف هذا الوضع مؤرخون هذا العصر فقالوا: " تجول في الحقول التي كانت يوما مزدهرة ستجدها مغطاة بالأشواك والحشائش الطفيلية، فلم يعد هناك من يزرعها، إذ أن الغالبية العظمى من الإسبان لا يفعلون اليوم شيء، بعضهم تحت ستار إدعاء النبل، وآخرون لأنهم يفضلون الإستبداد، فشوارع مدريد تقدم مشهدا فريدا، إنها مكتظة بالعاطلين والمتشردين الذين يمضون يومهم في لعب الورق، ينتظرون على أبواب الأديرة في انتظار موعد الغذاء، أو ينطلقون إلى الريف لنهب المنازل، والأسوء من ذلك الأمر لا يقتصر على هذا النوع من حياة الخمول والبطالة بل إن الميادين تموج بالأفاقين والمتشردين الذين أفسدت رذائلهم وآثامهم المدينة كلها وعمرت المستشفيات"، وكانت تلك البلاد التي عمت الشعب الإسباني إحدى نتائج حالة الركود في البلاد وأحد الأسباب في تلك الحالة في الوقت ذاته[1].

كما كانت القيود العقيمة التي فرضت على التجارة والصناعة من العوامل الأخرى التي تسببت في أزمة إسبانيا الإقتصادية ، فقد عرقلت هذه القيود السخيفة صناعة السلع التي اشتهرت بها الدولة في أروبا وتسببت في فقدان الأسواق الخارجية فقد كان صانع الأحذية على سبيل المثال يعاقب إذا لم يقم يضع أحذيته وفق النمط الذي يفرض عليه أن يتبعه حرفيا، وحضر تصدير الحرير الفاخر والأقمشة الصوفية إلى أمريكا...ولم يسمح إلا بتصدير الحشن منها ولم تحقق التجارة مع المستعمرات الإسبانية الدخل الذي كان متوقفا منها.

[1]-المصدر نفسه، ص97.

ومن أسباب ذلك احتكار أفراد قلائل لهذه التجارة التي كان يتناولها ميناء إشبيلية في البداية، ثم قادس بعد ذلك وقد حظر على المستعمرات التجارة مع أية دولة بإستثناء إسبانيا، ورغم ذلك فإن الإسبان لم تزود تلك المستعمرات بالملابس والأدوات الزراعية أو الآلات، وقام الإنجليز والهولنديون والفرنسيون بتهريب مثل هذه السلع على نطاق واسع إلى المستوطنين الذين كانوا في حاجة إليها وعلى استعداد لدفع ثمن ما يشترون، وقد ازدادت هذه الدول ثراء بأسرها للسفن الإسبانية المحملة بكنوز أمريكا من الذهب والفضة[1].

برزت الأزمة الإقتصادية في إسبانيا خلال القرن 17م بسبب اخفاض عدد السكان وكثرة المفقودين فترات المحاصيل السيئة التي تسببت في ظهور المجاعة والأمراض وما زاد الأمر سوءا هو قرار المبك بطرد اليد العاملة في إسبانيا (المغاربة) 1960م، وكثرة الحروب ما أثقل كاهل ميزانية الدولة، وتراجع وصول المعادن النفيسة إلى أمريكا سيكون له نتائج كإنخفاض الأسعار، وبالتالي انخفاض في الحصول على الفوائد، ومن العوامل التي أدت إلى تدهور الوضع الإقتصادي هي تدهور الأوضاع الإجتماعية وهكذا زادت التفاوتات بين العقارات من خلال تقليص الدخل الفصلي، فضعفت البورجوازية الفقيرة من خلال فقدان طابعها الريادي، وأيضا اتباع سياسة إقتناء الأراضي ما أدى إلى إفقار الفلاحين، وظهور الطبقات الحضرية الشعبية، وهي طبقات غير منتجة ماولد كميات هائلة من المتسولين وتوطيد ظاهرة اللصوص[2].

في عهد كارلوس الخامس الذي خلفه ابنه فيليبي الثاني (1556-1594)، ثم خلفه ابنه فيليبي الثالث (1594-1621)، وهو الذي قام بطرد الموريسكيين من إسبانيا سنة 1609م. كان لهذا الطرد أسوأ الأثر على اقتصاد إسبانيا، خاصة في مملكة أراغون، حيث أدى إلى تردي صناعات كثيرة

[1] -المصدر نفسه، ص98.

[2] - Antonio Dominiuez Ortiz: La sociedad espanola en el siglo XVII, Historia y critica de la litérature espanola instituto de sociologia de historia social, madrid, 1963 ,p 101-102.

كانت من اختصاص الموريسكيين، كصناعة الحرير والسكر. فأخذت إسبانيا تتقهقر، وحدودها تتقلص، فطردت هولاندا الإسبان، وكونت جمهورية مستقلة أصبحت تهدد البحرية الإسبانية[1].

2-الكشوفات الجغرافية:

وقد ذكر لنا الغساني من خلال رحلته إلى إسبانيا أهم مرحلة إقتصادية مرت بها وهي الكشوفات الجغرافية وأهم تبعاتها على البلاد الإسبانية والتي كانت على يد كريستوف كولومبس بحصول هذه البلاد الهندية ومنفعتها وكثرة الأموال التي تجلب منها، صار هذا الجنس الإسبانيولي أكثر النصارى مالا وأقواهم مدخولا حتى غلب عليهم الترف، فقلما تجد أحدا من هذا الجنس يتاجر أو يسافر للبلدان بقصد التجارة.

وكان هذا الجنس الإسبانيولي يأتي العمل وكان العمل الشاق من نصيب الفلامنك- الإنجليز- الفرنسيين والجنويين فهو يرى لنفسه الفضلية على غيره من الأجناس المسيحيين، وأكثر من يستعمل الحرف المهنية في بلاد إسبانيا جنس الفرنسيين لحاجتهم فصاروا يتقلبون في بلاد إسبانيا بقصد الخدمة واقتناء المال. وكانت الطبقية في إسبانيا حتى في الجانب التجاري فقد ذكر لنا الغساني أن جميع أهل الصناعات والحرف والتجارة لا يركبون مع الطاغية (الملك)[2].

كان أساس اقتصاد إسبانيا قائما على الإقتصاد اليهودي، حيث تغلغل اليهود في المرافق التجارية والصناعية، ولستطاعوا أن يكونوا مركزا مهما من مراكز ثروة البلا. لم يكن المسيحي في ذلك الوقت يعنيه سوى السيادة على الأرض، لذا ترك أمور التجارة والصناعة لليهود لمهارتهم في القيام بدةر الوسيط من أجل تحصيل الأموال للملك أو عامة الشعب[3].

[1]-علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس،الط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2005م، ص 227.

[2]-محمد الغساني، رحلة الوزير، المصدر السابق، ص.ص 71-72.

[3]-هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس دراسة عن يهود المارانوس، الط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، الجيزة، 2008م، ص26.

المبحث الثاني : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لإسبانيا من خلال الرحلة

تفشت المشاكل الديموغرافية والأوبئة الدموية مثل الطاعون متزامنة مع أوقات الحزن والجوع ففي إشبيلية توفي حوالي 60000 شخص بالطاعون، وفي عام 1647م ساهمت عوامل أخرى في الأزمة الديموغرافية طرد الموريسكيين سنة 1609م أدى إلى فقدان 3 بالمائة من سكان المملكة، كثرة الحروب الخارجية وزيادة عدد رجال الدين الذي أدى إلى هبوط عدد المواليد، واستمرت الأزمة وتفاقمت إلى تدهور الزراعة ودخلت التجارة أيضا مرحلة الركود وظهور المنافسة الخارجية فرنسا في البحر الأبيض المتوسط والمنافسة الإنجليزية والهندية في المحيط الأطلسي. ومن العوامل التي أدت إلى تدهور أوضاع إسبانيا بسبب سياستها الإقتصادية الغير صحيحة، فشهد مجتمع الدولة الإسبانية عملية استقطاب اتسمت بإفقار الفلاحين الذين شكلوا غالبية السكان وضعف البورجوازية والطبقات الوسطى، والنمو العددي للمجموعات الإجتماعية غير المنتجة مثل النبلاء ورجال الدين. ومن الأسباب الرئيسية التي جرت إسبانيا لهذا الوضع هي العقلية الإجتماعية السائدة والتي تنقسم بالإزدراء إلى العمل إلى تفاقم الأزمة الإجتماعية والإقتصادية.

كان القرن السابع عشر قرن الأزمة الإقتصادية في أوروبا بشكل عام وفي منطقة البحر الأبيض المتوسط على وجه الخصوص وخاصة في شبه الجزيرة الإيبيرية في التاج الإسباني، كانت الأزمة أبكر وأعمق من بقية أوروربا[1].

[1]-Christopher Stores, The decline of spain in the seventeenth century(1509-1714), state paper online, congage learning, 2011,p p 2-5.

المطلب الثاني: الأوضاع الإجتماعية.

فئات السكان:

1-المجتمع الإسباني (الفئة المسيحية)

كثيرا ما نسمع عن مدى إختلاف الإسبانيين من مكان إلى آخر في بلادهم من حيث مميزاتهم وعاداتهم، لأن الملاحظين عادة ما يميلون إلى استكشاف الميزات المبهجة، فعرف عنهم أنهم حسان الوجوه، إذ يعتبرهم بعض النقاد أجمل شعوب أوروبا، ومما لا شك فيه أنهم أحسن تلك الشعوب هنداما، والإسبانيون متوسطو الطول عادة، ملامحهم واضحة وبشرتهم زهراء اللون لا سمراء، أما عيونهم فجميلة معبرة وكلما زاد بريقها كان دليلا أكيدا على أثر الإمتزاج بدماء عربية[1].

والنساء أجمل من الرجال وربما كان ذلك أن الحرب قد قضت على عدد كبير من أحسن الرجال بنية، ومن الطبيعي أن يختلف الإسبانيون بعضهم عن بعض في ملامحهم وبنية أجسامهم من إقليم إلى آخر ونذكر (الباسك) ذوي الأنوف الكبيرة، والجليقين الذين يشبهون الإيرلنديين، أما القشتاليون فتميل أجسامهم إلى النحافة، ومايلاحظ في أهالي قطالونية وبلنسية طول القامة والعضلات القوية، ويرجع ذلك على أن غذاءهم أوفر من غذاء سكان الهضبة الوسطى[2].

كان المجتمع الإسباني في القرنين 16م و17م مجتمعا متسلسلا (هرميا)، حيث كانوا متكونين من فئتين: فئة النبلاء ورجال الدين وفئة الشعب العادي أيضا نجد الفئات الأخرى والمتمثلة في فئة الموريسكيين وفئة اليهود.

ويقسم الشعب الإسباني إلى النبلاء أولا ويتكونون من:

[1]- دوروثي لودر، إسبانيا شعبها وأرضها،ترجمة طارق فوردة، الط1 ، مكتبة النهضة المصرية فرانكلين، القاهرة، 1965م، ص218.
[2]- نفسه، ص218.

شعب اللانو: هو شعب عرف عنه أنه معفي من الضرائب، وهذه السياسة التي اتبعتها الدولة مع هذه الفئة تسببت في مشاكل إقتصادية، كما كانوا يتمتعون بإمتيازات النظام الجنائي، كما أنهم لم يسجنوا بسبب الديون، فأحيانا لم يكن ينال العقوبة في السجن بل بالمنزل، ولم يكن هناك قانون يفرض ويشرط عليهم فبإمكان الجميع الوصول إلى مناصب ذات أهمية.

وإلى جانب هذا التصنيف ظهر تقسيم آخر تكون من:

-عظماء إسبانيا كانوا ملوكا رائعين يتمتعون بثروات رائعة وألقاب الماركيز هم الأشخاص الماكة للأراضي، عاشوا مع العظماء في المحكمة (El corte).

-إلى جانب هذه الفئة كانت توجد فئة الفرسان هم الطبقة المتوسطة، على الرغم من أن لديهم دخلا كافيا ليتمكنوا من العيش بدون عمل، لأنهم كانوا يمارسون أعمال المكتبة[1].

-أما شعب الهيدالجيون (Les Hidalgos)[2] وهو الإسم الذي تلقاه النبلاء في البداية ولكن تم تخصيصه لاحقا لأولئك الذين يفتقرون إلى الثروة، وهم الطبقة السفلى للهرم، ورغم كونهم فقراء رفضوا العمل لأن العمل اليدوي لم يكن جديرا برتبهم كانوا في كثير من الأحيان يتعرضون لسخرية الشعب، إلا أن العديد من البورجوازيين أو الفلاحين ذوي الثروة تمكنوا من شراء الألقاب النبيلة حاجة إلى المال.

-أما رجال الدين فتمتع هذه الطبقة الإجتماعية أيضا بإمتيازات إقتصادية، لكنها شكلت عالما متنوعا للغاية، مليء بالتناقضات في هذه الحالة يمكنك التمييز بين كبار رجال الدين الذين جاء أعضاءهم بشكل عام من طبقة النبلاء والذين لديهم ثروات شخصية وأداروا ثروة الكنيسة، وقد انقسم رجال الدين

[1]- Antonio Dominiuez Ortiz، La sociedad espanola en el siglo XVII, Historia y critica de la litérature espanola instituto de sociologia de historia social, madrid, 1963،p p609-614.

[2]- الهيدالجيون: يعني الكبرياء ويعكس موقف الإسبانيين من الحياة وهي مختصرة من إبخو دي آلجو Hijo de algo وتعني بالعربية ابن الناس أي ابن شخص هام أو مشهور، للمزيد انظر: دوروثي لودر، إسبانيا شعبها وأرضها، المصدر نفسه، ص227.

بين رجال الدين العلمانيين المسؤولين عن الرعايا، ورجال الدين النظاميين، أي أولئك الذين ينتمون إلى نظام ديني هؤلاء كانوا كثيرين جدا[1].

وما ذكره الكاتب دروثي لورد، عن المجتمع الإسباني أنه شعب عصي، والتي ترجع إلى آثار الحرب الأهلية فكثير من الإسبانيين يهجرون مزارعهم وبلدانهم الصغيرة تنقلا إلى المدن الكبيرة أملا في الحصول على عمل مستقر.

وكان سكان المدن سرعان مايفقدون صفتهم الفردية التي تميز أهل الريف، ولذلك فإن التحول الذي يقوي الفلاح الإسباني يعد خسلرة للمجتمع لأنه يعتبر في الوقت الحاضر (الجنتلمان) أو الشريف الحقيقي في أوروبا، ويستخدم الفلاح الإسباني طرقا بدائية جدا في زراعته، فقد استبد به الفقر إلى الحد الذي يحول بينه وبين امتلاك محراث، وتعمل زوجته معه جنبا إلى جنب في الحقل، كما تقوم النساء بغسل ملابس الأسرة في أقرب جدول مائي مستعينات بحجر مسطح بدلا من اللوح الخشبي الذي يستخدم عادة في المنازل[2].

وبالرغم من أن بعض الفلاحين أميون فإنهم يتميزون بموهبة طبيعية للتحدث، وكذلك بالوقار والمجاملة ومعرفتهم الدقيقة بالمنطقة التي يعيشون فيها، فوق كل هذا بالأمانة الشخصية، وتوصف إسبانيا أحيانا بأنها أكثر بلاد أوروبا ديموقراطية، ففيها يستطيع الدوق والفلاح ورجل السياسة والتاجر والميكانيكي أن يجدوا موضوعات تهمهم جميعا وتصبح مادة لحديثهم، سواء التقول في حفل مصارعة أو في قطار أو مقهى أو سوق، ومما يجعل هذا الإختلاط ميسورا وممكنا أن كل فرد منهم لا ينسى وضعه في المجتمع ولا يشعر بأدنى عار من مهنته فالميكانيكي فخور لأنه ميكيانيكي كفخر الدوق بألقابه، ولا يجول بخاطر أحدهم أن يتبادل مركزه مع الآخر[3].

[1]-Antonio Dominiguez، La sociedad espanola en el siglo XVII, ibid, p614.

[2]- دوروثي لودر، إسبانيا شعبها وأرضها، المصدر السابق، ص224.

[3]- المصدر نفسه، ص224.

إن هذه العصبية وهذا الشعور بأهمية الفرد متأصلات في طبيعة الإسبانيين إلى درجة أنها تظهر في ألقاب الأسر، فالإسباني يحتفظ بلقب أمه إلى جانب لقب أبيه لكي يميز نفسه قدر استطاعته عن كل شخص آخر، وقد يبدوا هذا الإجراء لأول وهلة معقدا في نظر الغرباء، وقد أوضح لورد دوروثي في هذا فعلى سبيل المثال الإسم الكامل للفنان (جويا) هو فرانسيسكو جويا أي لوسينتس (Francisco Goya y Lucientes)[1]، وهو يدلنا على أن لقب ولبد الفنان هو (جويا) ولقب والدته هو (لوسينتس) ويرد لقب الأم دائما في نهاية الإسم.

ومن الكلمات التي يلقى استخدامها ضوءا على تفكير الإسبانيين كلمتا دون (Don) ودونيا (Dona)، ففي القرون الماضية كان استعمال هذه الألقاب مقصورا على مخاطبة أفراد الأسرة المالكة وكبار النبلاء، ولكن ما أكد عليه الإسبانيون من حب المجاملة ورغبة كل فرد منهم في أن يعامل بإحترام، هبطت بإستخدام هذه الألقاب إلى المستوى الشعبي، فيمكنك الآن أن تفخم أي شخص محترم بأن تسميه دون إذا كان رجلا أو دونيا إذا كانت سيدة، ولكن هذه الألقاب لا تستعمل بتاتا ما لم تكن مصحوبة بالإسم الأول للشخص الذي تخاطبه، ولك أن تضيف لقب الأسرة إذا شئت، ولكن لا تحذف الإسم الأول.

و إيدالجو (Hidalgo) إصطلاح آخر ينبض معناه الكبرياء ويعكس موقف الإسبانيين من الحياة، وهذه الكلمة مختصرة من إيخو دي آلجو وهي تعادل بالعربية ابن الناس، ويفهم منها أن إيدالجو ابن شخص هام أو مشهور، وإن لم يكن يالضرورة من النبلاء وكان لملوك إسبانيا حق الإنعام على أي فرد من رعايهم بلقب إيدالجو الذي كان يعتبر تكريما يسعى الجميع الحصول عليه، وكان غالبا يمنح كتقدير بشجاعة نادرة أو عمل بارز، ولقد قال أحد الفلاسفة الإسبان أننا يجب أن ننظر إلى الإيدالجو لاعلى أنه وريث ثروة دنيوية بل وريث الفضيلة. وينعكس هذا التفكير وهذا الإحترام الذاتي في سلوك

[1] – Francisco Goya y Lucientes: رسام شهير ولد في 30 مارس 1746م بإسبانيا، بدأ مهارته الفنية سنة 1770م في البلاط الملي الإسباني، وعرف عن أعماله أنها تعبر عن الأوضاع الإجتماعية والسياسية، **للمزيد انظر**: Frencisco goya and his illness : D.Felesiti G.Sperati. History corner. Ed 2010. P264.

الإسبانيين، فكم من سائح عابر في إسبانيا اليوم عاد إلى بلاده بقصة عن صاحب متجر أو خادم في فندق، ومهما يكن الإسباني فقيرا، فإنه يتسم برقة الجانب ويكاد الإحساس البالغ بالعزة والكرامة أو مايسميه الإسبان بندونور (Pundonor)[1] يتغلغل في نفوس جميع الناس وتعبر هذه الكلمة عن وجود الفضيلة لدى الإسبان[2].

أما الجانب الصحي فقد اهتم الغساني بذكره في رحلته إلى إسبانيا فقال تواجدت مستشفيات للإهتمام بالجانب الصحي للسكان وكان يطلق عليها المارستانات، فوصفها بكبر حجمها وهي في غاية النظافة ومجهزة بالفراش والطعام والأشربة، ومن يقوم بالمرضى، ويجعلون للنساء العجائز يقمن بهن وللرجال رجالا، توجد بكل مارستانة منها مخازن عدة مشحونة بالأطعمة وعند معالجة الطبيب للمريض يكتب له بطاقة أدوية، ولقد رأى عندهم بيت آخر فيه حوائج المرض وذلك إذا دخل المريض المشفى يزيلون ماعليه من ثياب ويكتبون عليها بطاقة بتعريف حوائج صاحبها ويلبسون حوائج أخرى.وإلى اهتمام الباحثين بالحياة الإجتماعية بإسبانيا بنظام طبقات المجتمع واختلاط الأجناس فيما اهتموا أيضا بالجانب الصحي ومدى أهميته عند الإسبانيين[3].

[1] – Pundonor: تعني غيرة الفرد الشديدة على احترام الغير له وتعني أيضا شرفه وسمعته، للمزيد انظر: دوروثي لودر، إسبانيا شعبها وأرضها، المصدر سابق، ص228.

[2] –عادل سامعي، تاريخ الأندلس الإقتصادي والإجتماعي، الط1 ، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر،2007م، ص56.

[3] –محمد الغساني الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690م–1691م، تحقيق نوري الجراح، الط1 ، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002م ، ص91.

2-فئة الموريسكيين:

إن خروج المورسكيين[1] عام 1609م-1611م يعد الفصل الأخير لحالة من النزيف البشري الإنساني التي بدأ في إسبانيا، ثم زادت حدته مع الفتوحات النصرانية الكبرى ما سمي بحرب الإسترداد، ثم اقتصر على خروج محدود خلال القرن السادس عشر، ثم وصل في القرن التالي إلى نهاية مؤلمة[2].

اتبع النصارة سياسة التبشير اتجاه المورسكوس لتنصيرهم، لكن بعض الحاكمين لم ينتظر ينتظر نتيجة التبشير الذي كان يطبق بل استعملوا العنف والإرهاب للقضاء على المورسكيين، ونذكر في هذا السياق ماقام به الكردينال ثسيرنوس الذي ارتكب أفضع الجرائم، ففي ناحية جبال البوشرات قام أحد معاوني هذا القس وهو الكوندي دي ليريا بتحطيم مسجد على من بداخله، وقام بذبح الرجال وبيع النساء والأطفال كرقيق[3]. وكانت تحيط بهم أجواء من الشك من قبل ديوان التفتيش فكان الموريسكي يعمل على كتفه صليبا في ثوبه برقم معلوم عندهم، وهي درجة كبيرة لا يدركها إلا من قدم في النصرانية، ويعد لنفسه فيها سبعة أجداد، ويعرفون أباه وجده وسمعوا من غيرهم من كبار سنهم أن فلان من ذرية فلان هو نصراني ابن نصراني إلى سابع من أجداده. وهذا الصليب الذي يحمل على الكتف يدل عندهم على عراقتهم في الأصالة، وعلامة على كبيرتهم في هذا الدين، ويذكر أن الملك الإسباني في نفسه لم يكن يجرؤ على التوسط لصالحهم بسبب قرارات ديوان التفتيش الصارمة[4].

إضافة إلى هذا قامت الحكومة بعد إفراغ الأراضي من أصحابها المورسكيين، عملت على استقدام نصارى قدماء من نواحي إسبانيا لتعمير هذه الأراضي الفلاحية بواسطة مراسيم ملكية صادرة عن الملوك الكاثوليك، كما أن وضعيتهم أصبحت كموظفين من قبل الإدارة القشتالية، وصار هؤلاء المهاجرون

---

[1]-الموريسكيين: هي كلمة إسبانية "Moriscos" ومعناها صغارر المسلمين للحط من شأنهم ، أطلقت هذا الإسم سنة 1499م على كل من هو عربي أو مسلم واستعملت رسميا في ملفات محاكم التفتيش عام 1520م، ويطلق على المسلمين الذين بقوا في الأندلس تحت السلطة النصرانية، **للمزيد انظر**: جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1942-1610م**، دار هومه، (د.ط)،الجزائر،2004م، ص44.

[2]-أنطونيو دومينيغيز هورتز، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكون، ترجمة عبد العال صالح طه، الط1، دار الأشواق للطباعة والنشر، ، 1977م، ص269.

[3]-محمد قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، الط1، مطابع الشويخ، 2001م، ص5.

[4]- محمد الغساني، رحلة الوزير، المصدر نفسه، ص 73.

الجدد كجزء من سلالات كاثوليكية وسط بحر من أناس ينتمون إلى أصل عربي أو بربري. وقد أتى هؤلاء المعمرون بعادات جديدة كما كان يحسبون أنفسهم أعلى وأسمى من غيرهم، ويتباهون من عوائدهم وديانتهم لكنهم لم يكونوا يقومون بالأعمال المتعبة مثل الزراعة، فعم القحط والكساد وخاب بذلك ضن المسؤولين بإتخاذهم قرار طرد اليد العاملة الموريسكية وتعويضها باليد العاجزة من نصارى قشتالة[1].

لقد أشار القري لمأساة المريسكيين بخصوص الطرد والنفي بقوله:"قاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا، ولم يقيض الله لهم نصرا إلى أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف (1609). فخرجت ألوف بفاس وألأوف أخرى بتلمسان بوهران وجمهوهم خرج بتونس...وكذلك بتطوان وسلا والجزائر"[2].

لم يكن طرد المسلمين من إسبانيا سنة 1609م جماعيا، خاصة في الأندلس حيث بقي معظم سكانها ذوي أصول إسلامية أندلسية، زمنهم لم يخرج أصلا ومنهم من عاد إليها بعد خروجه منها . وفي سنة 1612م أعفى الكوندي دي سلازار الرجل الذي كان وراء الطرد، بعد أن تمت المرحلة الأساسية من إجراءات الطرد، وأسندت القضايا المتعلقة بالمورسكيين إلى مجلس قشتالة. لكن لاق هذا القرار معارضة من المتطرفين لتخوفهم من رجوع كثير من المورسكيين أو بقائهم دون ملاحقة، فأصدر الملك لائحة في 1613/04/20م قرر فيها إعادة تعيين الكوندي دي سلازار، بحسم القضايا المتعلقة بالمورسكيين واستعمل هذا الأخير السلطة التي منحت إليه من الملك أسوأ إستعمال لتعصبه اتجاه المورسكيين وعدواته ضدهم، ويبين هذا القرار حرص الحكومة على إنهاء موضوع الطرد والتذكير على متابعة المورسكيين الذين رجعوا بعد طردهم. والمشهور بكونه موريسكي دون سواهما من الفئات، وتدل عبارة "مشهور" على حرص الحكومة الإسبانية على طرد وجهاء الموريسكيين المتخلفين دون غيرهم.

[1]-أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، الط2، المؤسسة العربية للطباعات والنشر، بيروت، 1988، ص48.

[2]-أحمد المقري، النفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، نشر: حسان عباس، الط1، الج4، دار صادر، بيروت1377هـ/ 1967م، ص528.

المبحث الثاني : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لإسبانيا من خلال الرحلة

رغم تنصر بعض الموريسكيين كانوا يعاملون معاملة التمييز العنصري، فكان النصراني القديم يحسب نفسه أسمى وأشرف من النصراني الجديد، وكان هذا التمييز يطبق حتى في الوثائق الرسمية والمعاملات القضائية وكذلك الأمور الدينية التي تديرها الكنيسة، ولو أن الأمر يتعلق بنصراني (أي الموريسكيين المتنصرين)[1].

وإذا حدث أن حررت شهادة بأسماء متشابهة بين نصراني قديم وآخر جديد وأخفي ذلك على الموثق أو على السلطة يلزم القانون النصراني الجديد بأداء ذريعة للنصراني القديم، وكانت هذه الذرائع تمثل عبئا ثقيلا على على المويسكيين مقارنة مع مستوى معيشتهم، ووصلت الضغينة بين المجنمعين إلى كون التاجر البسيط مثلا يحتج وبشدة إذا حصل وتشابه اسمه مع موريسكي، أما بالنسبة للطبقة الأرستقراطية فالتقارب بينهم وبين الموريسكيين أصبح شائعا.

ونظرا لما سلف ذكره، أصبح المورسكوس منبوذين في أرضهم رغم كونهم كانوا قد عدوا مندمجين في المجتمع الذي كانوا فيه، فقد عمل النصارى القدمتء كل ما في وسعهم للاكتشاف الموريسكي او النصراني الجديد، فكانوا يظنون أن البعد عن الموريسكي واجب للمحافظة على نقاء دمهم، ففي عام 1564م اوصى أحد نصارى ألمرية وكان من اكبر ملاكي الأراضي بالمدينة ان لا يتزوج من سلالته احد من النصرانية جديدة او موريسكية او يهودية وذلك بغاية المحافظة على عراقة اصله[2].

تواجد في إسبانيا خلال القرن السابع عشر خليط من المورسكيين الذين بقوا سواء بتصاريح رسمية او بدونها و كذالك الذين عادوا، كما كان يوجد عبيد موريسكيون محمديون، بل يوجد بربر ايضا عبروا المضيق وجاؤوا للبقاء في اسبانيا موافقين على تعميدهم كشرط أساسي[3].

وفي سنة 1690 أرسل مولاي اسماعيل، سلطان المغرب، سفيره الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني إلى كارلوس الثاني، ملك اسبانيا، لمعالجة موضوع افتكاك مائة أسير نصراني، فأرسل معه رسالة يقول فيها:

---

[1]- علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، الط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2005م، ص230.

[2]- محمد قشتيلو، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، المرجع السابق، المرجع نفسه، ص ص 6-7.

[3]- أنطونيو هورتيز، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون، المصدر السابق، ص312.

(وذكرونا العلماء في مسألة غدر أسلافكم بأهل و غيرهم، وهي لما يزيد على الأربعين ألفا بعد تعدد الشروط على ستين شرطا، ولم يوفوا لهم بواحد منها، الى غير ذلك من الغدر و المكر بأهل غرناطة و غيرهم من اهل الأندلس، وفي كل بلد و قرية فألفيناهم ماتكلموا إلا بالحق)، لذلك حدد مولاي اسماعيل شرطه لإطلاق سراح الاسرى النصارى بأن، تعطونا في الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة الاف كتاب... و تعطونا خمسمائة أسير من المسلمين في الخمسين الاخرى، وقد فشل الغساني في الرجوع بالكتب بحجة احتراق القصر الإسكوريال الذي كانت الكتب العربية مخزونة فيه، اكتفى بالرجوع بالأسرى مسلمين لكن الغساني سجل في كتاب، نقل فيه ماعينه بنفسه من الوجود الإسلامي ثمانين سنة بعد الطرد في عدة مدن أندلسية[1].

وماقاله الغساني عن مرشانة (مقاطعة إشبيلية) أن معظم سكانها من سلالة المسلمين القدماء، وعن مقاطعة جيان، يقول: "الغالب ان اهلها من بقايا الاندلس وجلهم من اولاد سراج كمة ذطر نقطة مهمة أن بعضهم كانوا يفتخرون بأصولهم الإسلامية، ويترأ آخرون من هذا الاصل ويدعون النسبة الى بنارة، ولم يعثر الغساني على الوجود الإسلامي الا في الاندلس ومجريط حيث سمع من المنحدرين من اهل الاندلس انتقادا كبيرا لقرار الطرد سنة 1609م[2]. وخلال هذه الفترة عرفت اسبانيا خروج أفواج كبيرة من الموريسكيين موجهة الى فرنسا وإيطاليا، ذلك لأن القرارات التي صدرت في بادىء الأمر الامر قضت بألا يصطحب المهاجرون الى الدول اسلامية أبناءهم معهم، ومن هناك اي من كل من فرنسا وإيطاليا، ذهب عدد قليل منهم الى مصر وتركيا، والفئة الأكبر منهم هاجروا الى بلدان الشمال الإفريقي، ورغم طرد المورسكوس بقي النصارى يشبعون خطواتهم بواسطة المبشرين الذين اقاموا مراكز لهذه الغاية[3].
وامتدت التجاوزات الرسمية ضد الموريسكيين بضع سنوات وفي 1614/04/19م وزع الملك أمرا على

[1]-علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص247.

[2]-محمد الغساني، رحلة الوزير، المصدر السابق، ص73.

[3]- أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، الط1، الج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص ص 113-119.

نوابه في جميع مقاطعات اسبانيا بان عملية الطرد قد انتهت ولن يذكر في المحاكم بعد الآن أي موضوع يخص الموريسكيين.

وفي سنة 1621م عهد الملك فيليبي الرابع، الذي لم يهتم بموضوع الموريسكيين كثيرا بالرغم من التقارير التي كانت تصله مفتشية الاملاك الملكية وفي سنة 1623م أعلن الكورتس بأنه قد ارتكب تجاوزات بحجة رجوع بعض الموريسكيين ويتوجب على الملك أخذ التدابير اللازمة بمرسوم ملكي، فأجاب الملك بأنه من غير المناسب إجراء قانون خاص، ولكنه من الانسب ان تؤمر المحاكم بعدم قبول اتهامات جديدة في شأن الموريسكيين وأن يتابع عند الضرورة كمتسكعين وليس كموريسكيين.

وعلى إثر هذا قام الملك بإصدار قرار سنة 1626م يمنع فيه الإساءة الى الموريسكيين وأن لا يسبب لهم أي ضرر ماداموا يعيشون في مناطق بعيدة، وقلت أيضا محاكم التفتيش ضد الموريسكيين بعد أن استخلصت جميع أموالهم، وأنزلتهم الى ادنى مستوى من استعباد وفقر غير أن الإسبان لم ينسوا قضية الموريسكيين، فكل مرة كانوا يخرجون بقرارات لإعادة النظر في طردهم فحوكموا بعضهم في فترة ما بين 1620-1625م بتهمة تعاطي السحر. وفي 1625/03/10م، أعدمت محاكم التفتيش بإشبيلية شنقا موريسكيا، وحكمت أيضا على الموريسكي آخر بمائتي جلدة، ثم الخدمة أربع سنوات فوق السفن، ثم السجن المؤبد لأنه ألصق معلقا على باب الكنيسة.

واستمرت هذه المتابعة وملاحقة الموريسكيين، ففي سنة 1633م، تابعت التفتيش موريسكيا من العائدين بعد الطرد، واضطهدت عائلته لمدة سنتين وفي 1667م حكمت المحكمة على موريسكي بالجلد لأنه يسخر من أحد النصارى، واستمر تمادي وظلم محاكم التفتيش دون رحمة ففي سنة 1680م احرق أحد الموريسكيين حيا في حفل رهيب لإتهامه بالارتداد عن النصرانية واعتناق الاسلام، وفي سنة

1689م تابعت محاكم التفتيش عدة مستعبدين وقررت إخراجهم من المدينة لإتهامهم بالإسلام لا يقل عددهم عن 177 فرد[1].

3-فئة اليهود:

إن الإحتقار الإسباني لليهود[2] الذين عاشوا في ظل مختلف أنظمة الحكم التي مرت على إسبانيا بدأ من الحكم الروماني والقوطي الذي استمر نحو ستة قرون من الحكم الإسلامي الذي بدأ عام 811م انتهى بسقوط غرناطة[3] عام 1429م، يقودنا إلى القول بأن الحقيقة التي تستحق الذكر هي أن المجتمع الإسباني خلال العصور الوسطى كان أقل اهتماما بهذا التوجه الكنسي المضاد لليهود. وهذا ناتج عن وجود علاقات إجتماعية وإقتصادية بين العروق البشرية في شبه جزيرة إيبيريا إلا أن هذه السياسة شهدت تحولا بلغ ذروته في إنشاء محاكم التفتيش الإسبانية[4] عام 1487م من قبل الملوك الكاثوليك إيزابيلا ملكة قشتالة Isabella of castile (1448-1504)[5] وفرديناند ملك الآراغون

[1]- علي المنتصر الكتاني، استمرار الوجود الإسلامي في الأندلس في القرنيين 17 و18م، مجلة الراعي الشهرية الصدرة عن دار العلوم ديوبند، ماي 2011م، العدد6، د.ص.

[2]-اليهود: لغة: رجع وتاب وإنما لزمهم هذا الإسم لقول موسى عليه السلام:"إنا هدنا إليك" أي رجعنا وتضرعنا، اليهود من الهوادة وهي المودة أو التهود، وهي التوبة فكأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم لبعضهم البعض وقيل لنسبهم إلى يهود الأكبر ابن يعقوب عليه السلام، **للمزيد انظر**: محمد خليفة حسن أحمد: **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للطباعة والنشر، الط1، القاهرة 1998م، ص49.

[3]-غرناطة: مدينة بالأندلس بينها وبين واد آش أربعون ميلا وهي من مدن البيرة وتعرف بأغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا ويوجد بها أشهر نهر وهو الفلوم، للمزيد انظر: علي المولا، الموسوعة العربية الميسرة،الط1، الج1، المكتبة العصرية ، (د.ت)، ص45.

[4]-محاكم التفتيش الإسبانية: تأسست عام 1487م بقرار من فرديناند وإيزابيلا وربما كان السبب الأول من إنشائها هو تحول الكثير من اليهود إلى المسيحية عام 1391م بعد تعرضهم لضغوط شديدة مما جعل ذلك التحول ينقصه الصدق. وفي عام 1487م اكتشفت مجموعة من الأشخاص في إشبيلية تمارس طقوسا غير معهودة في الديانة المسيحية، وهذا ما أقنع الملكة إيزابيلا بأن تطلب من البابا في روما إذنا بإنشاء محكمة تفتيش في قشتالة وآراغون، فأصدر البابا سيكستون الرابع مرسوما في عام 1487م يأذن فيه لملكي إسبانيا بتعيين محكمة التفتيش، **للمزيد انظر**: بشرى محمود الزربعي، **محاكم التفتيش الإسبانية 1480-1516م**،الط1، دار زهران للطباعة والنشر، عمان 2004م، ص 45-46.

[5]-الملكة إيزابيلا: إيزابيلا الكاثوليكية (1480-1504) كانت ملكة على قشتالة وليون وزوجة فرديناند الثاني ملك أراغون ، **للمزيد انظر**: علي المولا، **الموسوعة العربية الميسرة**، المكتبة العصرية،الط1، الج1، (د.ت)،ص553.

Ferdinend of Aragon (1489-1516)[1] إذا توحدت الممالك الإسبانية في الدولة بعد زواجهما عام 1469م.

على الرغم من الرفض الشعبي المسيحي للطوائف اليهودية، إلا أن اليهود مثلو قوة لا يستهان بها داخل المجتكع الإسباني، منحهم الملوك والحكام ورجال البلاط حرية ممارسة الأعمال الحرفية واليدوية التي كانوا يتقنونه، كما منحوهم المناصب والوظائف الإدارية بالدولة ومن هنا جاء تغلغل اليهود إلى داخل البنية الإجتماعية للدولة[2].

لقد كانت أوضاع اليهود الذين عاشوا في إسبانيا خلال القرنين 16م و17م أي منذ عهد الإمبراطور شارل الخامس (1517-1557)[3] حتى نهاية حكم الملك شارل الثاني (1665-1800) فقد شكل اليهود أقلية اجتماعية نشطت في جميع مجالات الحياة الإجتماعية لا سيما بعد أن اندمجوا مع بقية مكونات المجتمع الإسباني.

بدأت تظهر ملامح التعامل الإسباني اتجاه اليهود بشكل مغاير في عهد الملك فيليب الرابع (1621-1665) على عكس الملوك الذين سبقوه حيث اتسمت معاملتهم بالإستبداد والتعصب الديني والبعض الآخر ببعض المرونة[4].

---

[1]-الملك فرديناند: ملك قسطيلة وليون (1452-1516م) تزوج بإبنة عمه إيزابيلا سنة 1469م وكانت ابنة الملك هنري الرابع، كانت أخلاقه سيئة يدل ذلك على الأعمال الرذيلة التي ملأ بها حياته فمنها نقض عهده الذي أعطاه إلى كريستوفر كولومبس، كان يظطهد العلماء الذين لا يوافقونه، **للمزيد انظر**: جوزيف ماك كيب، **مدينة المسلمين في إسبانيا**، ترجمة: تقي الدين الهلالي،الط2، مكتبة المعارف، 1985م، ص106.

[2]-أمريكو كاسترو، إسبانيا تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة: علي إبراهيم متوفى،الط1، المجلس الأعلى للثقافة،2003م، ص585.

[3]-الإمبراطور شارل الخامس: (1518-1558م) ولد في شباط عام 1500م شمال غرب بلجيكا، وهو الابن الأكبر لفيليب من زوجته خوانا القشتالية، تولى حكم إسبانيا مابين (1518-1556) باسم شارل الأول، وتولى بعد وفاة جده ماكسيميليان الأول عام 1519م عرش الإمبراطورية الرومانية باسم شارل الخامس وفي عام 1526م تزوج من الأميرة إيزابيلا، توفي سنة 1558م، **للمزيد انظر**: فاتن محي محسن، **الإمبراطور شارل الخامس والحياة الإقتصادية في إسبانيا(1500-1558)**، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة بغداد 2014م، ص141.

[4]-فاتن محي محسن، يهود إسبانيا منذ عهد الإمبراطور شارل الخامس حتى عام 1800م، مجلة الأستاذ، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، العدد 4، 2016م، ص417.

أما فيليب الرابع فقد ذهب أبعد من ذلك في هذا الميدان، ويعود السبب في ذلك لتأثير مستشاره المفضل دون غاسبار عليه الذي يتميز أنه ليبيرالي جدا، ولكن كان ذلك يصطدم مع ما أفرزته الظروف الحالية والسابقة، لذلك قرر اتباع سياسة التسامح مع اليهود ومن الممكن أن يكون موقفه هذا معاديا للإجراءات المتشددة السابقة المتخذة من أسلافه المسيحيين القدامى، إن الأسباب التي دفعت فيليب الرابع لتغيير سياسته اتجاه اليهود كانت ذات طابع إنساني وسياسي، حيث اعترف بالقوة التي كان يمثلها اليهود المرتدين في مجال الإقتصاد والثقافة، وكذلك مؤهلاتهم التي أبدعوا فيها عدة مهن التي كانت محتكرة من قبل أهالي جنوة وغيرهم من الأجانب. فضلا عن إبداع اليهود في إقامة المصارف والحصول على الأرباح، الأمر الذي أدى إلى توفير الكثير من الوظائف والحصول على التعريفات الجمركية وغيرها من الضرائب، والمشاركة في الأنشطة التجارية مما أدى إلى تعاطف الناس معهم، ولذا السبب قد تقلصت أحكام الإعدام ضد اليهود وأطلق سراح الكثير منهم بعد دفع غرامات باهضة عام 1622م، كما منحهم فيليب الرابع الحرية لفرض الإستيطان في قشتالة، وأصدر عام 1667م قانونا يمنح رجال الأعمال اليهود حرية التجارة البرية والبحرية، فضلا عن ممارسة التجارة في جزر الهند الغربية عن طريق دائرة تعاقد[1].

كانت محاكم التفتيش منتبهة جدا للأمور السرية التي يقوم بها اليهود، وبرغم من الحماية الرسمية التي تمتع بها اليهود إلا أنهم كانوا ملاحقون بشكل ملفت للنظر لا سيما في مدريد.

تم تسجيل بعض الهدوء النسبي في عهد الملك شارل الثاني (1665-1800) فالعقيدة المقدسة انشغلت بأمور أقل شأنا مثل مسألة الإلحاد وتعدد الزوجات وأعمال الشعوذة، ومع ذلك فإن التعصب الديني تجاه اليهود كان لا يزال مستمرا. ففي عام 1655م تم حرق منازل اليهود ومنازلهم ومعابدهم في مدينة مايوركا. وفي عام 1689م صدرت أحكام قاسية ضد 200 يهودي ولا سيما أولئك الذين يمارسون الديانة اليهودية سرا وقد تمت مصادرة الأموال المنقولة لهؤلاء اليهود. وفي عام 1670م تم حرق

[1] – فاتن محي محسن، يهود إسبانيا منذ عهد الإمبراطور شارل الخامس ، المرجع السابق، ص428.

20 يهودي من أصل 70 كانوا مجتمعين في ساحة مدريد الكبرى، حيث اتهموا بأنهم يمارسون طقوس الديانة اليهودية سرا[1].

يقدر عدد اليهود الذين تركوا إسبانيا ب160 ألف يهودي، وتوجه معظمهم إلى البرتغال لقربها من إسبانيا، ووجود علاقات قديمة بين اليهود والبرتغال وإسبانيا، فضلا عن التشابه المناخي والثقافي لمجتمع البلدين، كما توجه قسم من اليهود إلى فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وشمال إفريقيا وولايات الدولة العثمانية والأمريكييتين مؤسسين هناك مع أبناء جنسهم اليهود تجمعات جديدة في أحياء منعزلة أطلق عليها أسماء مختلفة. ففي أوروبا سميت غيتو(Chetto) الحارة في الشرق والشتل والقهل في أروبا الشرقية[2].

وأطلق على اليهود من أصل إسباني_برتغالي (السفارديم)[3] أو (السفاراد) Sefarad وهو اسم إسباني حسب ماورد تقليديا في الإنجيل، ورغم اختلاف عادات اليهود في أوروبا الوسطى والشرقية إلا أنهم يحملون اسم (الأشكناز) Ashkenzanim، وقد شكل السفارديم نسبة 15-16 بالمئة من يهود العالم، وكانوا يتحدثون بلغة اللادينو التي تعتمد على أصول لاتينية إلى جانب بعض المصطلحات العبرية وكانت هي اللغة الرسمية في الجامعات والمدارس الإسبانية في القرون الوسطى وهي مركبة من اللاتينية والإسبانية والعربية والبرتغالية، ولهم طريقتهم الخاصة في الصلاة والطقوس الدينية وبذلك اكتسب المصطلح دلالة دينية إلى جانب دلالته العرقية الأصلية[4].

---

[1]-نفسه، ص430.

[2]-أمريكو كاسترو، إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، المصدر السابق، ص592.

[3]-السفارديم: المقصود يهود إسبانيا في البداية وحوض البحر الأبيض المتوسط، كما تشير إلى مكان شمال فلسطين نفي إليه اليهود بعد السبي البابلي، لكن معنى الكلمة تغير أصبحت تدل على الفكر اليهودي في العصور الوسطى في شبه جزيرة إيبيريا التي تضم إسبانيا والبرتغال، وأطلق على نسل أولئك اليهود الذسن عاشوا في إسبانيا والبرتغال مقابل الإشكناز الذين كانوا يعيشون في ألمانيا وتدعي الصهيونية بأن الجذور العرقية للسفارديم يمتد تاريخها البعيد لتصل بالعرق السامي الذي دخل إلى إسبانيا عقب سقوط مدينة أورشليم والتي على إثرها توزع اليهود في أنحاء الإمبراطورية، **للمزيد انظر**: عبد الوهاب المسيري، **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية والصهيونية**، الط1، المجلد4، دار الشروق، القاهرة 1975م، ص213.

[4]-حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي،(د.ط)، دار القلم، دمشق 1999م، ص23.

المبحث الثالث:

الأوضاع الثقافية والدينية لإسبانيا من خلال الرحلة.

المطلب الأول:الأوضاع الثقافية.

المطلب الثاني: الأوضاع الدينية.

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية والدينية لإسبانيا من خلال الرحلة.

المطلب الأول: الأوضاع الثقافية.

1-العادات والتقاليد:

عندما نصف القرن السابع عشر بأنه العصر الذهبي في إسبانيا فإننا لا نفكر في قوة إسبانيا وكنوزها المادية فقط بل فيما تفتحت عنه العبقرية الإسبانية من ثروة وآداب وأبرز العادات والتقاليد التي إتصف بها الإسبان. ويمكن أن نرى هذا التنوع الثقافي في إسبانيا متغير بين إقليم وإقليم آخر، فكل مجموعة سكانية لها ميزاتها الخاصة وقد صور الأدباء الإسبان لهاته البيئات المحلية ومافيها من نماذج بشرية[1].

وأبرز ما يميز إسبانيا هو الطعام فالطعام في إسبانيا طابع قوي لا ينسى، فبالرغم من وفرة المأكولات وتعدد ألوان الطعام الخاصة التي تشتهر بها الأقاليم المختلفة فإن طريقة طهوها تكاد تكون واحدة، وهي أن يغمر الطعام بزيت الزيتون ففي أثناء النهار تفوح رائحة الزيت المغلي الذي يعد به الطعام اليوم، أو رائحته الزنخة من بقايا وجبة الأمس، حتى أنه يصعب على المرء أحيانا أن يفرق بين هذه الروائح الكريهة وبين منظر بساتين الزيتون الجميلة التي تلوث الطبيعة[2].

ويقدم فلاحو الأندلس طبق (Gazpacho) الذي أصبح من الأطباق المستحبة في جميع أنحاء البلاد، وهو عبارة عن سلطة يدخل فيها الطماطم والفلفل والخيار والخل وبالطبع بزيت الزيتون، وطبق البايلا (Paella) الذي تتخصص فيه مقاطعة بلنسية هو الرز المطهو بزيت الزيتون يضاف إليه الزعفران ليكسبه اللون الأصفر، ويحتوي على الثوم وفلفل ولحم الخنزير المملح. ويقدم الجليقيون الذين اشتهروا بأنهم طهاة ممتازون بطبق الكرشة الذي يعد بزيت الزيتون والطماطم والثوم والفلفل أما

[1]- دوروثي لودر، إسبانيا شعبها وأرضها، المصدر السابق، ص 99-202.

[2]-المصدر نفسه، ص218.

الباسك فيجهزون القواقع بنفس الطريقة تقريبا، ومن الأطباق الشهيرة التي يقابلها الزوار ثعابين السمك الصغيرة.

وقد أشار دوروثي في كتابه عن طبق شهير وهو لقمة القاضي ويعرف بالتشورو (churro) يقبل إيه جميع الإسبانيين يقلى في زيت الزيتون وإذا أردت أن تجرب هذه الحلوة فيجب أن تطلب معها فجان كاكاو لأن طريقة أكلها هي تتم غمسها في الكاكاو ويروى أن الملك ألفونسو الثالث العشر أنه كان يتبع هذه الطريقة الإسبانية القديمة، وأي أحد بصدد تناول أكلة إسبانية حقيقة فلا بد أن يكون على استعداد أن يأكلها بزيت الزيتون، ومع ذلك فإذا فضلت الإقتصاد على تناول ثمار زيت الزيتون الصغيرة الناضة التي تباع في كل مكان دون زيتها فعليك ارتياد الفنادق والمطاعم السياحية التي لا تستخدم طرق الطهو القومية إلا في نطاق محدود جدا[1].

2-المرافق العامة (الفنادق والأسواق والبيوت):

وقد ذكر لنا الغساني من حلال رحلته إلى إسبانيا زيارته لهاته الفنادق فقال: وعند وصولنا إلى البرج، وصلنا دار معدة للنزول قرب مدينة تسمى شكلانة، وهي عوائدهم في جميع هذه البلاد الأندلسية وغيرها من سائر البلاد. فعند كل مسافتين أو أكثر يجعلون فندقا أو دارا معدة لنزول الضيوف والمسافرين، فإذا وصل المسافر إلى موضع منها ينزله ويجد فيه من الطعام ما يشتهيه وما تبلغ إليه مقدرته، ويجد العلف لدوابه والفراش لنفسه فيأكل ويستريح ويطعم دوابه، وعندما يريد الخروج من الفندق أو الدار المعدة لذلك تأتيه زوجة الموكل أو ابنته بالحساب من ثمن الطعام والعلف وكراء المسكن والفراش فيحاسب على هذا دون نقاش[2].

[1]-المصدر نفسه، ص 219-220.

[2]- محمد عبد الوهاب الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690م-1691م، تحقيق نوري الجراح، الط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002م، ص59.

كما تطرق الغساني في رحلته أيضا على المبعوثين الدبلوماسيين لهم عادة اسقبال خاصة في اسبانيا، فبهذه الفنادق المعدة للرفاق والمسافرين خيل معدة بقصد سفراء المخزن الذين يقطعون مسافات بعيدة وذلك إذا قرب الرقاص[1] من الموضع مذكور يخرج له فرسا مسرجا ويلق به عند باب البينطة[2]، وبيده كأس خمر وبيضتان ويشرب الزائر ذلك ويبدل فرسه بالفرس الذي أجضر له، كما كانوا يقسمون بين أماكن المسلمين والنصارى حيث أعدوا لهم ديارا وأنفقوا على ذلك مالا وفيرا[3].

ويقول الغساني في ذكره عن أسواق إسبانيا أنها كبيرة منفسحة الأرجاء عامرة بأهل البيع والشراء والتجارة، وأهل الحرف والصنائع رجالا ونساء وهذا السوق يقصده جميع أهل القرى والمداشر. كما أبدى اندهاشه من بيع النساء للخبز في الأسواق على ظهور الدواب، والبعض منهن يقصدن الديار بتبلغهن إليها الخبز على قدر ما تستحقه الدار، لأن من عادة النصارى أن لا تخبز أحد منهن بدارها، وبالسوق عدة حوانيت لطبخ الطعام وصنعه للغرباء والضيوف والمسافرين الذين ليس لهم موضع معهود، فيدخل الرجل للحانوت فيتحكم على المرأة التي ويطلب ما يشتهي، وتجد في هذه الأسواق من اللحوم البرية والوحشية والطيور مالا عدد له وهي ميتة لغير الزكاة، وفيها ما لذ وطاب من الفواكه والأسماك. وعزم الإسبان في بناءهم للأسواق أن يكون السوق بداخله سوق كبير مربع الشكل وفيه حوانيت كبار وعلى الحوانيت من البيوت والغرف والمساكن ست طبقات وهي معمورة بالسكان من أهل هذه الأسواق[4].

بالرغم من أن تشبع المجتمع الإسباني بعادات وتقاليد لا يمكن إنكارها غير أنه لا يمكن أن نغض الطرف عن الأجناس التي كانت تعيش في إسبانيا وكيف كانت تمارس حياتها اليومية بالأخص الفئة المسلمة (الموريسكيين)، فمن المعروف عن الموريسكيين حرصهم الشديد على الإلتزام بالقواعد

[1]-رقاص: جمع رقاقيص بالعامية المغربية تعني ساعي البريد، **للمزيد انظر**: رحلة الغساني، المصدر السابق، ص61.

[2]-البنيطة: لفظة إسبانية قديمة معناها الفندق (venta)، **للمزيد انظر**: رحلة الغساني، نفسه، ص61.

[3]- المصدر نفسه، ص62-63.

[4]- المصدر نفسه، ص89.

والآداب والعادات والتقاليد العربية الإسلامية فقد ذكرنا جمال عبد الكريم أنهم كانوا يفضلون أكل الخبز والخضراوات والفاكهة والعسل والنبيذ والزبيب والتين ويأكلون الكسكسي ومن يتناوله يعرفونه مسلم[1].

ويمكن أن تميز المسيحي عن المسلم عن طريق الرداء الذي يحمله كل منهما فقيل أن ملابس البلنسيين تعى للإشمئزاز وأن الغرناطيين يلبسون السراويل (Zaraguilles) والغرناطيات يلبسن القندرة (Alcandra)، وقميص طويل من الكتان أو الحرير وعليه يوضع عباءة تسمى الملوطة ثم الملحفة (Almalafa) وهي عبارة عن قماش من كتان، وأما عن مساكنن الموريسكيين بصفة عامة فهي أصغر من بيوت المسيحيين ويختلف توزيع الحجرات والغرف مع مراعاة الضوء والظل والحرارة والبرودة والنظافة[2].

وفي مدريد حظر عيد الشعانين وعيد الفصح وفصل فيهما ،وتحدث عن كنيسة الإسكوريال عندهم هو من الأمور التي يعدونها في بلادهم إذ ليس عندهم كنيسة أخرى على شكلها من بناءاتهم أعظم منها وقد قارن الغساني هذا الإسكوريال بمساجد المسلمين في طليطلة وإشبيلية وقرطبة.

ضف إلى ذلك تحدث الغساني في رحلته عن ظاهرة مترسخة عند الإسبانيين وهي مصارعة الثيران فقال: فإن من عوائدهم إذ كان شهر مايو في العاشر منه أو نصفه يختارون ثيرانا فحولا سمانا ويأتون بهم إلى البلاصة[3]، ويزينونها بأنواع الفراش من الحرير ويجلسون في السطوح ويطلقون الثيران، ويدخل إليهم من يدعي الشجاعة راكب على فرسه ليقاتل الثور بالسيف، ويحضر هذا الحدث الطاغية وزوجته وحاشيته، والناس على اختلاف أعراضهم ويعد هذا اليوم كعيد بالنسبة لهم، ومن العادات الأساسية التي وصفت بها الحياة اليومية في إسبانيا وهي بثلاث كلمات أساسية وهي سياستا

[1]- حنيفي هلايلي، الموريسكيون الأندلسيون في الجزائر خلال القرنين 16و17م، مقاربات جديدة في الهجرة و الإسهام الحضاري، ط1، منشورات مخبر البحوث و الدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، 2014م، ص ص 52-45.

[2]-جمال عبد الكريم، الموريسكيين تاريخهم وأدبهم، الط1، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د.ت)، ص34.

[3]-البلاصة: Palaza mayor تعني الساحة العمومية أو السوق، **للمزيد انظر**: رحلة الغساني، المصدر السابق، ص89.

(Siesta) وتورتوليا (Tertulia) و باسيو (Paseo)، أما السياستا فهي ذلك السكون الشامل الذي ينجم على أكثر المدن الإسبانية نشاطا لمدة ثلاث ساعات أو أكثر بعد الغداء، أما التورتوليا فتطلق على اجتماع الأصدقاء في المساء وعادة ما يكون ذلك في المقهى لأن الإسبانيون لا يميلون إلى استقبال أحد في منزلهم والتورتوليا بالنسبة للإسباني فرصة يمارس فيها ملكته في التحدث، أما الأغنياء فهم وحدهم الذين يفتحون قصورهم لإستقبال الضيوف ويقيمون بها الحفلات ويكرم الإسباني ضيفه الأجنبي عادة في فندق أو مطعن أو مقهى. أما الباسيو فهي النزهة المسائية في المدن الصغيرة حيث تخرج السيدات والفتيات للتمشية.

إلى جانب الأسواق كانت هناك أماكن معدة لتبادل الرسائل والبراوات وهذا ما تحدث عنه الغساني خلال رحلته فقال: أن في إسبانيا أماكن معدة لنقل الرسائل الواردة من جميع البلدان والأقاليم، فإن في كل يوم من أيام الجمعة ترد رسائل بلد من البلدان، فمن كان يرتجى ورود براءة يمضى إلى الحوانيت المعدة لذلك، وينظر هل أتاه بشيء أم لا فإذا وجد يعطي عليها جعلا معلوما[1].

أما الصحافة والتي إشتهرت أكثر بمدينة مدريد فقد ذكر لنا الغساني عنها أنها دار فيها قالب الكتابة وهي تحت إشراف رجل واحد فمنهم سمع بخبر أو طرقه خبر وبحث عنه، يجمع من الأخبار ما يجمع ويفرغ عليها قالبا يطبع عليها آلافا من القراطي ويبيعها فتجد رجالا ينادي: من يشتري أخبار البلاد الفلانية إلا أن فيها من الزيادة والكذب ما تحمل عليه شهوته النفسية[2].

[1]-دوروثي لورد، إسبانيا شعبها وأرضها، المصدر السابق، ص220-221.

[2]-محمد الغساني، رحلة الوزير، المصدر السابق، ص93-94.

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية والدينية لإسبانيا من خلال الرحلة

المطلب الثاني: الأوضاع الدينية.

لقد كان التعصب الديني عاملا من عوامل التعبئة الروحية للإسبانيين عندما كانوا يحاربون العرب، غير أن المغالاة في هذا الإتجاه أضرت بإسبانيا ضررا بليغا، فقد ظن رجال الدين أن من واجبهم أن يفرضوا مذهبهم بالقوة على سكان البلاد، ولم تقتصر نقمتهم على غير المسيحيين بل كانت تشمل كل من ليس على مذهبهم الكاثوليكي، وهكذا ظهر في إسبانيا ذلك الجهاز الرهيب الذي أطلق عليه محاكم التفتيش، فخنق حرية العقيدة والفكر، وتدهور شأن الجامعات الإسبانية على يد أهل البلاد، بعد أن كانت إسبانيا قبلة علماء أوروبا أيام العرب. وقد تضافر هذا الإعتبار مع اعتبارات أخرى للهبوط بإسبانيا من دولة عظمى إلى دولة منطوية على نفسها ترفض الأخذ بأسباب التقدم، وتنزل أقصى العقوبات بكل من خرج برأي يخالف رأي الكنيسة[1].

وقد أظهر لنا الغساني في رحلته مدى تمسك وسيطرة رجال الدين على الحياة في إسبانيا وما شد انتباهه هم راهبات الكنبينطوا[2]، فتحث على أنهم نساء يتواجدون باستمرار داخل الكنيسة. وهن في غاية ما يكون من التحفظ والصون، من الصغيرة التي يبلغ عمرها سبع أعوام إلى العجائز، وهن عادتهن في ذلك أن جميع من أحبت الترهب والتزهد تدخل الكنبينطوا المعد لذلك، سواء كانت كبيرة أو صغيرة مع تأدية القسم، ولا يتعلق لها شهوة في رجل ولا في نظر ولا في دخول فتدخل الكنبينطوا وتلبس من اللباس الخشن، فإن كان لها مال يحوى عليها منه بالقسط ومن ليس لها مال تخدم غيرها وتعيش معها. وهذا الكنبينطوا المعد للراهبات يسمونهن بالعجمية المونكاص[3]، لا يدخله أحد من الرجال أصلا، وعليهن عجائز موكلات بهن ودخول المرأة للكنبينطوا هو بمثابة موتها، ولهؤلاء الراهبات

---

[1] – دوروثي لورد، إسبانيا شعبها وأرضها، المصدر السابق، ص15.

[2] –الكنبينطوا:لفظة إسبانية تعني الدير Convento، **للمزيد انظر**: رحلة الغساني: المصدر السابق، ص55.

[3] –منكاص: مونكاص بالإسبانية Monja وتعني الراهبة، **للمزيد انظر**: رحلة الغساني، المصدر نفسه، ص55.

مذاهب وطرق بعدد مذاهب الفريلية[1] فطرقهم ومذهبهم في الترهب أن لا يكتسبوا ولا يخزنوا فلسا ولا دينارا ومعيشتهم من الصدقات.

كان المسلم والنصراني يتعايشان منذ زمن طويل في إسبانيا، وكان كل واحد منهما سيدا في أرضه ويتعامل مع الآخر بالمثل، ولكن منذ خول الملكين الكاثوليكين غرناطة أصبح المسلم في أي مكان بإسبانيا مهزوما، وإن كان الظاهر من ناحية القانونية في الحياة الواقعية العامة بدأ في ضغط المنتصر قهره يزداد يوما بعد يوم حتى وصل إلى التفكير بإنهاء وجود هذه الأقلية. وقد شكل إعتناق إسبانيا المذهب الكاثوليكي على حساب المذهب الأريوسي ثم النزعة الصليبية للكنيسة ولرجال الدين، ورغبتهما في نشر المسيحية سببا في اضطهاد المسلمين ومحاولة تنصيرهم قسرا، وظهرت هذه النزعة منذ وقت مبكر في إسبانيا[2].

ومقاربة للمجتمع والكنيسة في القرن 18م بإسبانيا فإنها تتطلب من ناحية أخرى توضيحات دقيقة، خاصة خلال القرن 17م وما حدث في أوروبا من تغيرات متتالية وما سمي بالعالم الحديث كالعلوم الرياضية التجريبية، التاريخ النقدي، الحكم الذاتي للسلطة السياسية وأيضا الأفكار العقلانية الدينية والفلسفية وأطلق عليه مرحلة الأنوار، ولا يمكن أن تنتقد تلك الأفكار خاصة في إسبانيا، أي أنها كانت معايير دينية ثابتة مع الإيمان لذلك اعتقد الكاتب أنطونيو ماستر في مقالته هاته على أن هذه المعتقدات في إسبانيا كانت مقبولة بالرغم من التشدد الذي بنيت عليه[3].

[1]-الفريلية : لفظة إسبانية معناها الرهبان Frailes، **للمزيد انظر**: رحلة الغساني:نفسه، ص54.

[2]-أحمد كامون، التأثير الموريسكي في المغرب، الط1، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، وجدة، 2010م، ص69.

[3]-Antonio Mestre, Sociedad y Relegion en el siglo XVIII, chronica nova, revista de historia moderna de la universidad de granada,1991, p p 257-270.

خاتمة:

تعتبر رحلة الوزير الغساني من أهم الرحلات في القرن السابع عشر، والتي تكللت بالنجاح في بعض أهدافها فقد قبل ملك إسبانيا صفقة تبادل الأسرى، وإن كان الغساني في نفسه أو التاريخ لا يخبرنا شيئ عن جمع هؤلاء الأسرى أو ترحيلهم،

ويشوب الغموض أيضا النتيجة التي توصلنا إليها في رحلة الغساني، فنحن نعرف منه بطريقة غير واضحة أن ملك أسبانيا قد قبل صفقة تبادل الأسرى – خوفا ورهبة من رسالة السلطان المغربي على حد تعبيره – ولكنه لا يتابع تفاصيل إتمام هذا الأمر، ولا نعرف شيئا عن جمع هؤلاء الاسرى أو ترحيلهم، أما بالنسبة للهدف الثاني فقد قام المسئولون الأسبان بأخذه إلى مكتبة الاسكوريال وجعلوه يرى بعينيه آثار الحريق الذي التهم كل ما في المكتبة من كتب ومخطوطات وكيف طالت النيران حتى أخشاب السقف. وقد اقتنع الغساني كما يبدو بهذه الحجة ولم يثر الموضوع مرة أخرى.

وقد فشل الغساني في الرجوع بالكتب بحجة احتراق القصر الإسكوريال الذي كانت الكتب العربية مخزونة فيه. الرحالة يتحدث عن ذلك كثيرا من خلال وصفه لرحلته، وهو في الواقع يتكلم عن وجود أسرى مراكشيين بقادس وقرطبة ومدريد ولكنه لا يذكر شيئا عن ترحيلهم إلى أرض الوطن.

وما يمكن أن نستنتجه في هذه الرحلة وهو التحول الفكري الذي أحس به الغساني بعد إنتهاءه من الرحلة فقد بدأ الرحلة وهو يعتقد أنه ذاهب إلى دولة تشبه ماهو معتاد عليه إلا أنه وجد نفسه أمام دولة متطورة، وأن أسوارها حول حدودها الخارجية، وأنها تعيش مرحلة مهمة من تحولها، تنمو فيها مؤسسات المجتمع المدني مثل البريد، الصحافة والمستشفيات.

كما لاحظ الغساني أن إحساسه كواحد من أحفاد أهل الأندلس قد تغير، فقد بدأ رحلته إلى إسبانيا وهو يعتقد أنها إحدى ديار الإسلام، ولكنه فوجيء أمام دولة مختلفة تماما متطورة غنية بالذهب، يتدفق عليها من العالم الجديد وأن ملوكها يحكمون أجزاء كبيرة من العالم وسفنها تجوب البحار والمحيطات.

وما جذبنا كقراء بعد قراءة رحلة الوزير الغساني لإسبانيا أنه استخدم ذكاءه وثقافته وقدم تقارير بطريقة غير مباشرة عن الحياة اليومية للملوك والأمراء الإسبان وكيف كان تعامله مع شعبه ووصفه بالتواضع، كما لم ينسى الغساني الفئات المسلمة بإسبانيا، ومدى الحالة المزرية التي عانوا منها وتطرق أيضا إلى محاكم التفتيش.

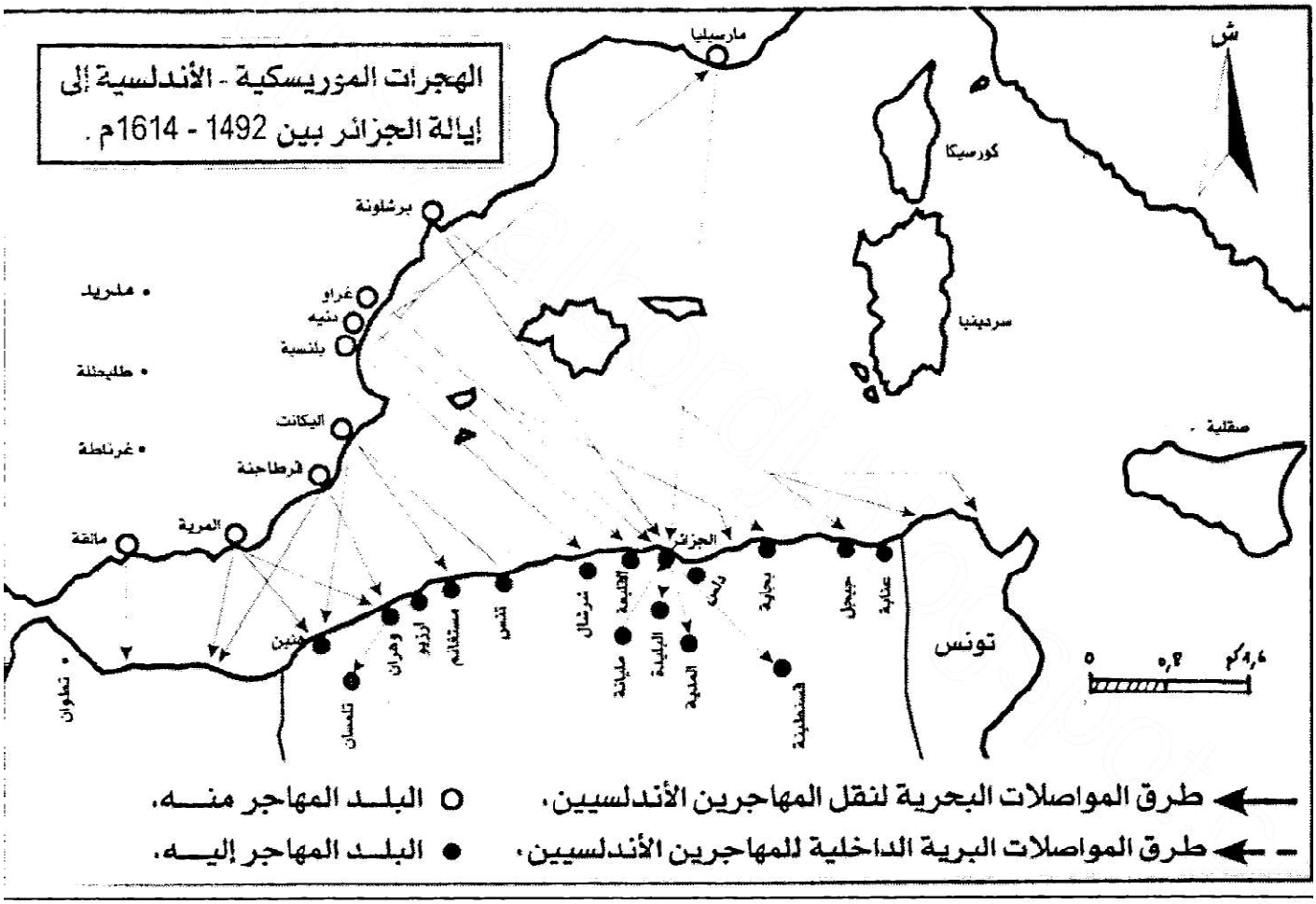
لقد أحسن السلطان المغربي مولاي السلطان إسماعيل في اختيار السفير الغساني الذي أرسله، فقد كان الغساني مثقفا وأديبا وعالما بالتاريخ ووزيرا عارفا بتفاصيل صراعات الدولة والتناقضات بين الدول الأوروبية، وكان مع كل هذا يبتعد في تقاريره الديبلوماسية عن كل تلفيق أو تزوير، ويتميز بأمانة كبيرة وروح متسامحة في فترة عصيبة من الصراع الإسلامي مع الغرب سادت خلالها أوربا روح التعصب الأعمى الذي لم يسلم من شروره حتى المسيحيون أنفسهم في محاكم التفتيش.

ملحق رقم 01: بناء قديم بكونيكا بإسبانيا وجدت به سجون التفتيش

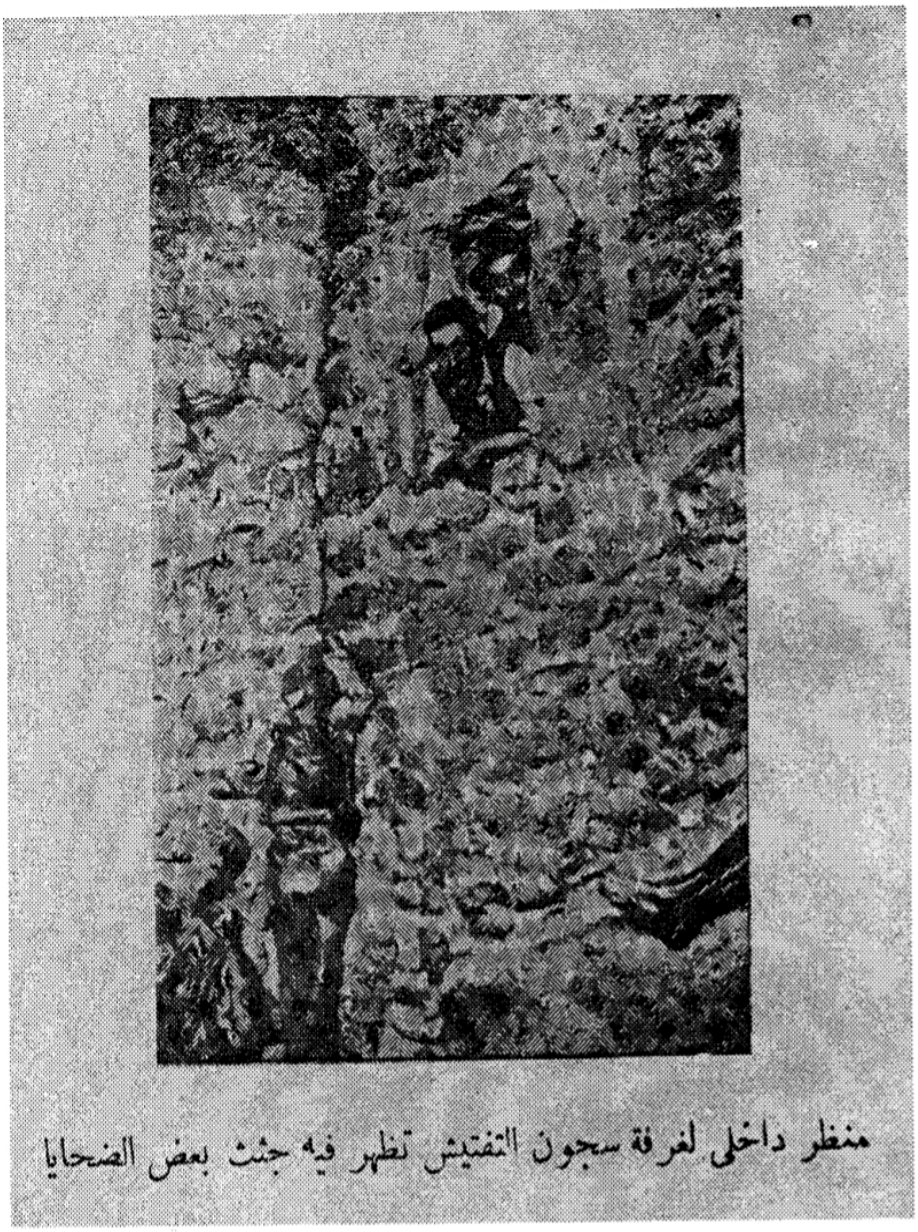


بناء قديم بكونيكا بأسبانيا وجدت به سجون التفتيش

ملحق رقم 02: الهجرات الموريسكية–الأندلسية إلى إيالة الجزائر بين **1492–1614م**

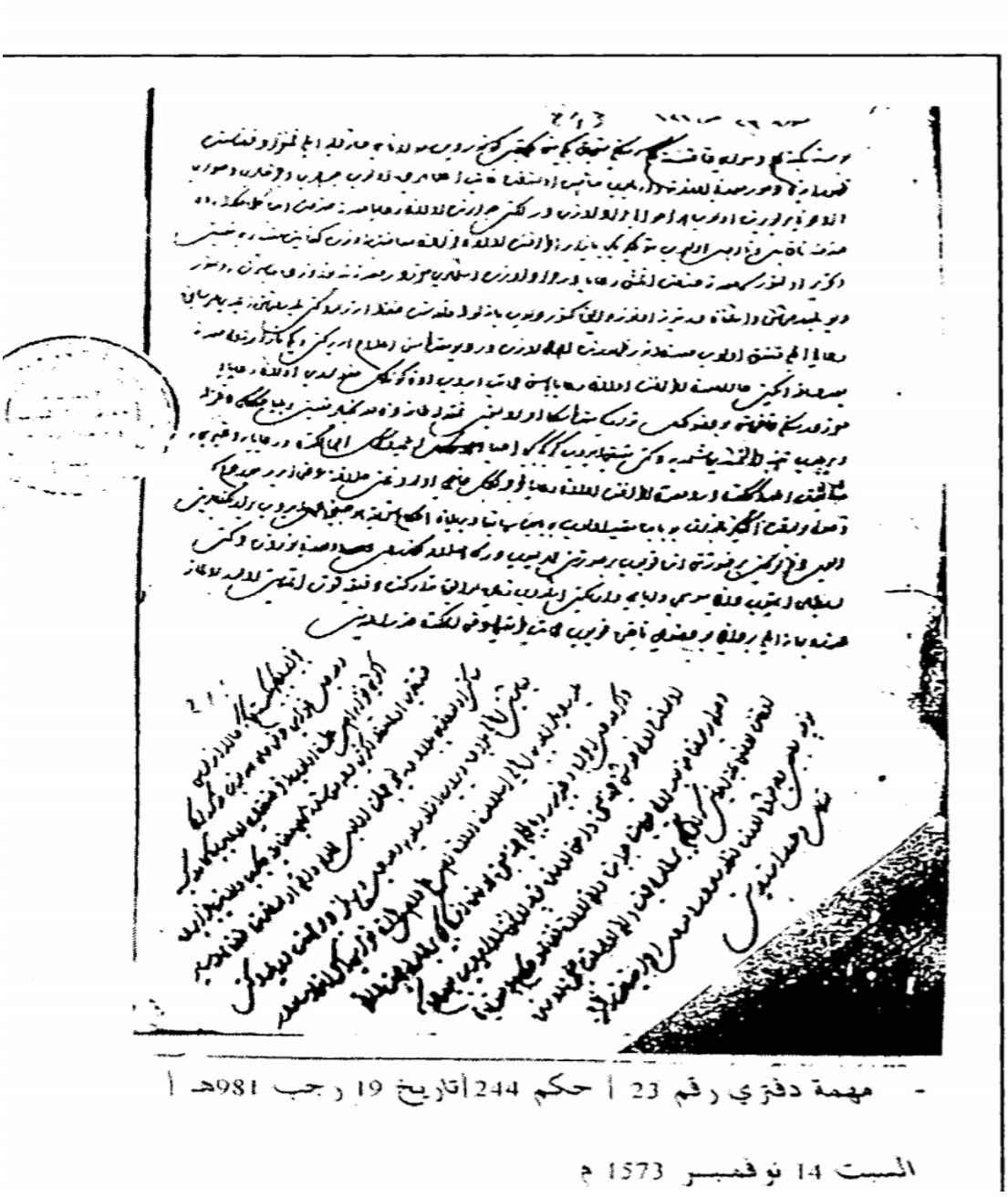


ملحق رقم 03: منظر داخلي لغرفة سجون التفتيش.



منظر داخلي لغرفة سجون التفتيش تظهر فيه جثث بعض الضحايا

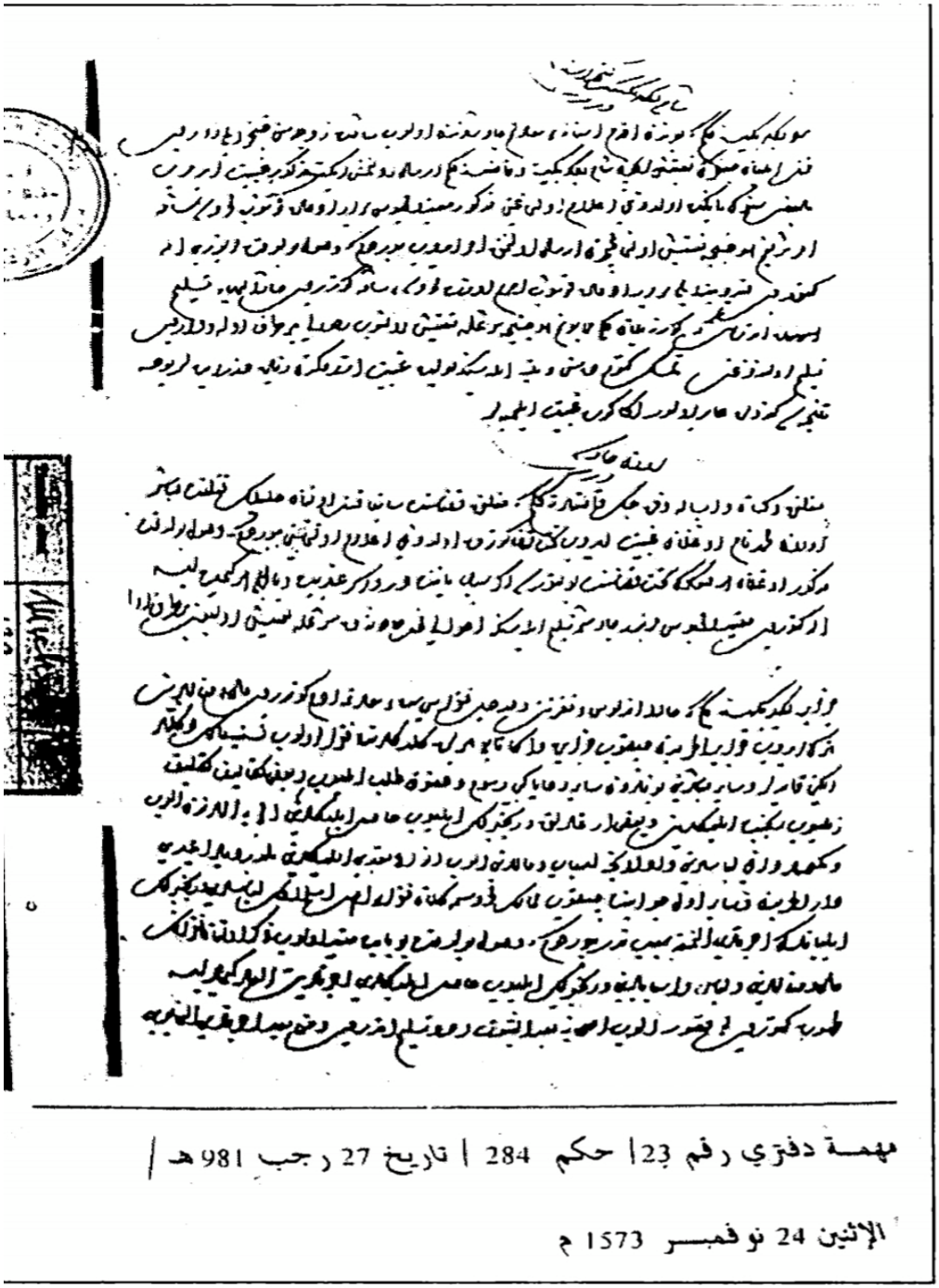
ملحق رقم 04: مهمة دفتري.



- مهمة دفتري رقم 23 أ حكم 244 أتاريخ 19 رجب 981هـ أ

السبت 14 نوفمبر 1573 م

ملحق رقم 05:



مهمة دفتري رقم 23| حكم 284 | تاريخ 27 رجب 981 هـ /

الإثنين 24 نوفمبر 1573 م

ملحق رقم 06: منظر خارجي للسجن.

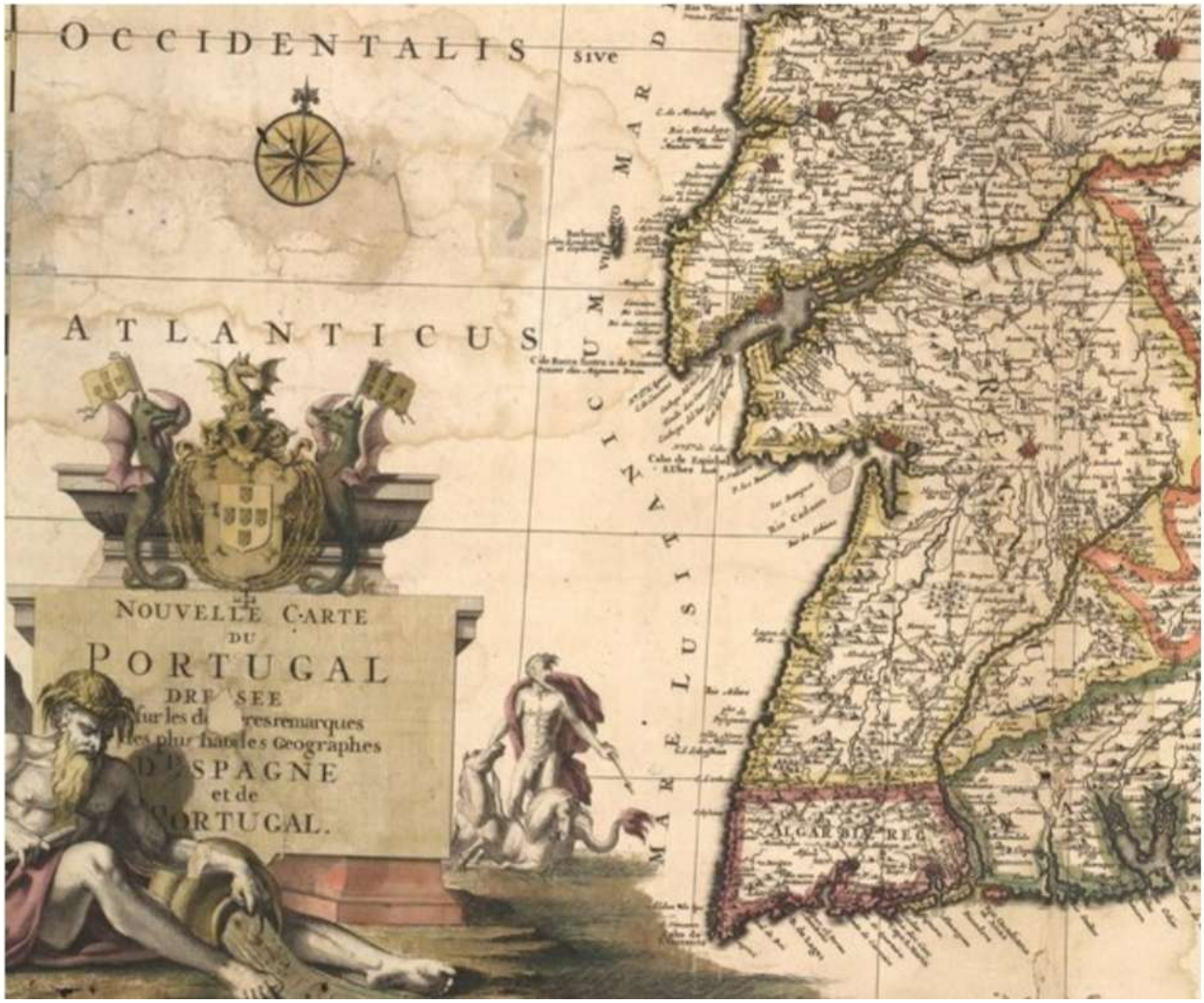


منظر خارجي للسجن تظهر فيه النافذة ويظن أن المحكوم عليهم كانوا يدلون منها إلى الداخل ليموتوا موتا بطيئاً

ملحق رقم 07:


Granada
Bilbao
Burgos
Velez Malaga
Egitia
GALLICUM
MARE
OCEANUS
MARE
MEDI
TERRANEUM
NOVA
HISPANIÆ
DESCRIPTIO
LISBONA
TOLEDO
SIVILIA
VALLA DOLID

ملحق رقم 08: خريطة لإسبانيا خلال القرن 17م



قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

المصادر باللغة العربية

1- البكري أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق، عبد الرحمن علي حجي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت ،1968م.

2- التمساني أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها الخطيب، حققه: إحسان عباس، (د.ط)، المجلد2، دار الصادر،بيروت،1377هـ/1967م.

3-الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: احسان عباس ، الط1، مكتبة لبنان، (د.ت).

4- الغساني محمد بن عبد الوهاب الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تقديم: ألفرد البستاني، (د.ط)، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، المغرب، 1940.

5- الغساني محمد عبد الوهاب الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690م-1691م، تحقيق: نوري الجراح، الط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002م.

6- الكتاني الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس ، سلوة الأنفس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، الط1، الج2، دار الثقافة مؤسسة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د.ت).

7- الونشريسي أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، الط1، الج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

8- كاسترو أمريكو، إسبانيا تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة: علي إبراهيم متوفى،الط1، المجلس الأعلى للثقافة،2003م.

9- كولان ج.س ، الأندلس ،ترجمة: إبراهيم خورشيد ، الط1، كتب دائرة المعارف الإسلامية، 1970م.

10- لودر دوروثي، إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فوردة،(ط.د)، مكتبة النهضة المصرية فرانكلين، القاهرة، 1956م.

11- ماك كيب جوزيف، مدينة المسلمين في إسبانيا، ترجمة: تقي الدين الهلالي،الط2، مكتبة المعارف، 1985م.
12- هورتز أنطونيو دومينيغيز، تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكون، ترجمة عبد العال صالح طه، الط1، دار الأشواق للطباعة والنشر، ، 1977م.

-المصادر باللغة الأجنبية:

1- Antonio Dominiuez Ortiz: La sociedad espanola en el siglo XVII, Historia y critica de la litérature espanola instituto de sociologia de historia social, madrid, 1963.

2-Antonio Mestre, Sociedad y Relegion en el siglo XVIII, chronica nova, revista de historia moderna de la universidad de granada,1991.

3-Christopher Stores, The decline of spain in the seventeenth century(1509-1714), state paper online, congage learning, 2011.

4-Frencisco goya and his illness : D.Felesiti G.Sperati. History corner. Ed 2010.

ثانيا: المراجع

1- الزربعي بشرى محمود، محاكم التفتيش الإسبانية 1480-1516م،الط1، دار زهران للطباعة والنشر، عمان 2004م.
2- الكتاني علي المنتصر ، انبعاث الإسلام في الأندلس،الط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

3- المسيري عبد الوهاب، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية والصهيونية، الط1، المجلد4، دار الشروق، القاهرة 1975م.

4- المولا علي، الموسوعة العربية الميسرة، الط1، الج1، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2010م.
5- حومد أسعد، محنة العرب في الأندلس، الط2، المؤسسة العربية للطباعات والنشر، بيروت، 1988.
6- درويش هدى، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس دراسة عن يهود المارانوس، الط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، الجيزة، 2008م.

7- سامعي عادل، تاريخ الأندلس الإقتصادي والإجتماعي، الط1 ، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر،2007م.
8- طه عبد الواحد ذ نون، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، (د.ط)، دار المدار الإسلامي، (د.ت).

9- ظاظا حسن، الفكر الديني اليهودي،(د.ط)، دار القلم، دمشق 1999م.

10- عبد الكريم جمال، الموريسكيين تاريخهم وأدبهم، الط1، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د.ت).

11- عتريس محمد ، معجم بلدان العالم،الط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2002م.
12- قشتيلو محمد، حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها، الط1، مطابع الشويخ، 2001م.
13- كاسترو أمريكو، إسبانيا تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة: علي إبراهيم متوفى،الط1، المجلس الأعلى للثقافة،2003م.
14- كامون أحمد، التأثير الموريسكي في المغرب، الط1، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، وجدة، 2010م.

15- كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليانوفيتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ،ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم ،مراجعة: ايغور بليابف ،(د.ط)، الج 2،الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1957م.

16- يحياوي جمال، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1942-1610م، دار هومه، (د.ط)،الجزائر،2004م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1- الهلالي محمد، العلاقات المغربية الاسبانية جدلية التعاون والتوتر،أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية الحقوق فاس، 2010- 2011م.

2- محي محسن فاتن، الإمبراطور شارل الخامس والحياة الإقتصادية في إسبانيا(1500-1558)، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة بغداد 2014م.

3-جعني زينب، العلاقات المغربية الإسبانية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م (1011-1069هـ) (1603-1659م)، ماجستير في تاريخ المغرب الحديث، الجزائر منشورة، (د.ت).

رابعا: المجلات والدراسات

1- الكتاني علي المنتصر، استمرار الوجود الإسلامي في الأندلس في القرنيين 17 و18م، مجلة الراعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند،، العدد6، ماي، 2011م.

2- بنحادة عبد الرحيم، سفير مغربي بمدريد في نهاية القرن السابع عشر، سلسلة دراسات الثقافة الإسلامية، (د.ط)، منشورات معهد الأبحاث في لغات وثقافات آسيا وإفريقيا، طوكيو، 2005م.

3- بنين أحمد شوقي، (خزانة مراكشية بالأسكوريال)، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد9، الرباط،1982.

4- حسن محمد إبراهيم ، دراسات في جغرافية أروبا والحوض البحر المتوسط، جامعة الإسكندرية، (د.ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ب)، (د.ت).

5- رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، إفريقيا الشرق، (د.ط)، 1998م.

6- محي محسن فاتن، يهود إسبانيا منذ عهد الإمبراطور شارل الخامس حتى عام 1800م، مجلة الأستاذ، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، العدد 4، 2016م.

7- هلايلي حنيفي، الموريسكيون الأندلسيون في الجزائر خلال القرنين 16و17م، مقاربات جديدة في الهجرة و الإسهام الحضاري، الط1، منشورات مخبر البحوث و الدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، 2014م.

العنوان	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
مقدمة	
المبحث الأول: الرحالة بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي	28-10
تمهيد	14-10
بطاقة قراءة كتاب	16-15
المطلب الأول: نسبه ونشأته	18-17
المطلب الثاني: رحلته ودوافعها	24-19
المطلب الثالث: مظاهر الحياة في إسبانيا من خلال نظرة الغساني	28-25
المبحث الثاني: أوضاع المجتمع الإسباني الإقتصادية والإجتماعية من خلال الرحلة	52-30
تمهيد	33-30
المطلب الأول:الأوضاع الإقتصادية	38-34
المطلب الثاني: الأوصاع الإجتماعية	52-39
المبحث الثالث: أوضاع المجتمع الإسباني الثقافية والدينية من خلال الرحلة	60-54
المطلب الأول: الأوضاع الثقافية	58-54
المطلب الثاني: الأوضاع الدينية	60-59
خاتمة	63-62
الملاحق	72-65
قائمة المصادر	78-74